أساسيات اختيار الرواة وتقييمهم

فى التاريخ الشفوى

د. صلاح حسن العاوور*

توطئة :

وقع جدل بين المؤرخين المحدثين حول مسألة الاعتداد بالروايات الشفوية بوصفها مصدراً موثوقاً فى الكتابة التاريخية؛ فبعض المؤرخين يرفض الاعتراف بالرواية الشفوية مصدراً من مصادر المعرفة التاريخية، لسببين: أولهما اعتمادها على الذاكرة التى هى عرضة للقصور والخطأ[١]، وهو ما يشير إليه كولنجوود (Collingwood) بقوله: "الواضح على الأقل أن الذاكرة ليست من قبيل التاريخ، بالرغم مما قاله بيكون وغيره فى هذا الصدد، والسبب فى ذلك هو أن التاريخ، نوع من أنواع المعرفة تعتمد على الاستدلال، والتى نظمت تبعاً لمنهاج البحث العلمى، فى حين أن الذاكرة لا تقوم على الاستدلال، ولا تمت بصلة للتنظيم العلمى"[٢]. وفى هذا الصدد أيضاً يقول فانسينا (Vancsina) : "إن الذاكرة تنتقى ملامح معينة للمشهد أو الحدث وتفسره بالنظر إلى الخبرات السابقة والتوقعات، وعند الرواية يميل الناس إلى التركيز على أحاسيسهم وتوقعاتهم عن الحدث أكثر مما شاهدوه فعلاً، ويحكّمون منطق ما كان يجب أن يحدث، وبهذا يملأون الفجوات فى تصوراتهم عن الأحداث"[٣]. أما السبب الآخر الذى اعتد به المؤرخون الرافضون للروايات الشفوية، فهو أن التاريخ الشفوى وتحديداً تاريخ الحياة –

---

* أستاذ التاريخ المشارك بجامعة القدس المفتوحة.

ما هو إلا عمليات تجرى على الأحياء[٤]، فى حين أن التاريخ هو دراسة الماضى[٥]، فالمؤرخون المحدثون ابتداءً من القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين عدوا الروايات الشفوية غير جديرة بالثقة، ومن هنا أخذ التاريخ المروى (الشفوى) يفقد فى هذه الفترة مصداقيته بوصفه مصدراً للتاريخ؛ ذلك لأن الفلسفة الوضعية التى سادت فى هذه الفترة تصر على اعتماد حقائق يمكن التأكد من صحتها، كما عدت الكتابة أفضل من ذكريات شخص فى الماضى[٦]. كذلك فإن أصحاب النقد التاريخى الأوربى الحديث لا يرضون بالنقل الشفوى فى تدوين التاريخ، ومن ثم فهم يشكّون فى المعرفة النقلية، وفى مكانة الذاكرة من التاريخ[٧]. وفى ذلك يقول لانجلووسينوبوس: "والنقل الشفوى فيه تحريف مستمر، ولهذا فإنه لا يُعتد فى العلوم المتكونة إلا بالنقل المكتوب ... ولهذا ينبغى أن نبحث فى الوثائق المكتوبة عن الأقوال الواردة بطريق النقل الشفوى، حتى نضعها موضع الارتياب[٨].

وفى مقابل ذلك فإن المجتمعات السابقة من العرب والمسلمين واليونان وغيرهم تُكِنّ احتراما وتقديسا خاصا للذاكرة[٩] بل إن هؤلاء كانوا يفضلون الذاكرة فى تلقى العلم وحفظه، ويؤثرون بذلك النقل الشفوى على الكتابة، كذلك وجد بين المؤرخين من دافع بحماسة شديدة عن التاريخ المروى، فالمؤرخون الرواد فى آسيا وأوربا، حتى القرن التاسع عشر، عدّوا الرواية المكتوبة غير جديرة بالثقة، على خلاف الرواية المروية التى عدّوها أكثر دقة.[١٠] ومن الدواعى التى دفعت بعض المؤرخين إلى تبنى التاريخ الشفوى وترويج فكرته، أن التاريخ المروى ذو أهمية بالغة فى توثيق ملفات حياة الشعوب، فالروايات الشفوية من شأنها أن تحفظ خبرات وتجارب كانت ستنسى، أو ستتحول فى أحسن ظروفها إلى خرافات، بفضل تناقلها مشافهة من شخص إلى آخر، ومن

جيل إلى جيل [١١]، فالتاريخ الشفوى لدى أولئك المؤرخين المدافعين عنه يعد مصدرا لا يقل أهمية ولا دقة عن المصادر المكتوبة إذا أحسن استغلاله، إذ يشيرون إلى أنه على الرغم من أن الروايات الشفوية أقل بقاء، وأكثر عرضة للتحريف من المصادر المادية والمكتوبة، فإن بعض الوثائق الشفوية تحفظ فى الذاكرة وتنتقل من جيل إلى جيل بدون تغيير تقريبا، وتحفظ فى ذاكرة الشعب لفترات طويلة جدا، كما أنهم يقررون أن رفض عد التاريخ الشفوى مصدرا تاريخيا، يعد موقفا رجعيا من التاريخ، لأنه يقصر دور المؤرخ على دراسة التاريخ الرسمى (تاريخ النخبة)، وعلى دراسة القضايا التى تهم تلك النخبة التى أنتجت السجل المكتوب، ومن ثم فإنه يختزل دور الجماهير العريضة، كما أن الأفراد العاديين لم يتركوا خلفهم سجلا مكتوبا[١٢] .

لقد تصدى معسكر المؤرخين المدافعين عن التاريخ الشفوى لأولئك الذين يتمسكون بفكرة ترنح الروايات الشفوية، وعدم مقدرتها على الصمود بوصفها روايات أصيلة صادقة، بسبب اختلاطها بالعواطف الإنسانية، فقالوا إن الادعاء لا يشكل مبررا كافيا لرفض الاعتراف بالتاريخ الشفوى مصدرا من مصادر المعرفة التاريخية، فالمصادر جميعها مقرونة بمشكلات منهجية تاريخية، حتى إن التاريخ المكتوب يأتى أحيانا متأثرا بالعواطف والغايات، بل ربما يكون تأثير هذه الميول والاتجاهات فى نصوصه أكثر من تأثيرها فى الرواية الشفوية.[١٣] ومن هذا المنطق يتحمس بعض الباحثين للتاريخ الشفوى إلى درجة تفضيله أو على الأقل مساواته بالدليل المكتوب، وفى ذلك يقول هينج (Henige):" عندما تختلف الروايات الشفوية مع المصادر المكتوبة، فإن الروايات الشفوية تصحح المكتوبة، أما العكس بالعكس فهو نادر الحدوث[١٤].

يعنى هذا أن مشكلة المصداقية التاريخية لا تكمن فى نوعية الروايات التاريخية، مكتوبة كانت أو شفوية، بقدر ما ترتبط بالباحث التاريخى؛ فالباحث المتمرس لا يقبل المصادر على علاتها، وإنما عليه أن يتخذ تجاهها موقفا نقديا متشككا مهما كانت مصادرها مكتوبة أو شفوية؛[١٥] فإن الباحث التاريخى هو الذى يقرر مدى أصالة المادة التاريخية المتوافرة بين يديه، سواء أكانت مكتوبة أم شفوية .

يبنى البحث التاريخى الشفوى من خلال عدة خطوات؛ هى : اختيار مشكلة أو مجال للدراسة، وتحديد مشكلة أو مجال الدراسة بشكل أكثر دقة وتحديدا، واختيار مصادر البيانات المختلفة، وجمع البيانات المتعلقة بمشكلة الدراسة، وتصنيف تلك البيانات، وأخيرا تقييم تلك البيانات والربط بينها، وتركيبها وتقديمها فى شكلها النهائى بصورة موضوعية ودقيقة .

وهذه الدراسة تتناول البحث فى عينة الرواة، وتركز خصوصا على دراسة أساسيات اختيار وحدات تلك العينة، وأساسيات تقييم رواياتها، وذلك اعتمادا على الأسس المنهجية للبحث فى التاريخ الشفوى، انطلاقا من الإيمان بأهمية الرواة فى التاريخ الشفوى، على أساس أنهم يمثلون العمود الفقرى الذى تستند إليه بنية التاريخ الشفوى برمته، إذ يمثل الرواة المادة الأولية (الخام) والمصدر فى تصوير الماضى، وتجسيد حقائق أحداثه التاريخية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية، ومن ثم فإن تفسير بعض الظواهر وتوثيقها – خاصة تلك التى لم تحظ بأهمية فى المصادر المكتوبة – يعتمد على الرواة الذين عاصروا الأحداث أو شاركوا فيها، أو وصلت أخبارها إلى أسماعهم، كذلك يمثل الرواة – بالنسبة للباحث فى التاريخ الشفوي– مرجعية أساسية وأولية للمادة التاريخية التى يشتغل فى تدوينها، وعلى هذا

تشكل نوعية الرواة جانبا مهما لدى الباحث فى التاريخ الشفوي؛ إذ يعتمد عليهم فى درجة مصداقية تأريخ الحدث وأصالته، لذا ينبغى على الباحث أن يبذل جل جهده وعنايته لانتقاء عينة المجتمع المتصل بجوانب دراسته على نحو موضوعى دقيق، ويتوجب عليه أن يوفر الظروف والإمكانات التى من شأنها أن تهيئ بيئة مناسبة خالية قدر الإمكان من المؤثرات الداخلية والخارجية، حتى يدفع رواة الأحداث إلى الإدلاء بآرائهم عن الظاهرة أو الحدث التاريخى الذى يتصدى لدراسته، على نحو علمى يحاكى الواقع ويقترب من الحقائق . فإذا أجاد الباحث فى التاريخ الشفوى التخطيط لمهمته، وترتيب خطوات تنفيذها وأحكامها، فإنه سيخرج بدراسة أكثر عمقا وأكثر صدقا فى نتائجها.

وبطبيعة الحال فإن هذا العمل هو عملية شاقة مضنية، تتطلب منه بذل جهد كبير؛ أولا بوضع مخطط علمى محكم، يتناول عملية انتقاء عينة الرواة، ثم إخضاع هذه العينة لدراسة معمقة تتناول جوانب حياتهم المختلفة، من حيث: نشأتهم، وثقافتهم، ووضعهم الاجتماعى، وإنجازاتهم، وعلاقاتهم، ومدى صلتهم بالحدث موضوع الدراسة، وأماكن توزيعهم ..... إلخ، ثم يلى ذلك خطوة البحث عن هؤلاء الرواة، وبذل جهد كبير فى سبيل الالتقاء بأكبر عدد منهم، وذلك بعد أن يكون الباحث قد استعد تماما لمقابلتهم . ثم تأتى خطوة مهمة أخرى للباحث دور مهم فيها، وهى تهيئة الظروف أمام الرواة لدفعهم إلى التصريح بما لديهم من روايات تتصل بموضوع بحثه . وخلال هذه المرحلة يبرز دور الباحث المتمرس الناقد؛ إذ إن خبرته فى منهجية البحث فى التاريخ الشفوى ستمكنه من دفع الرواة قدر الإمكان نحو سرد الوقائع مجردة من كل انحياز أو عاطفة .

لذلك فإن البحث فى التاريخ الشفوى ليس مهيئا لكل من طرق هذا الباب، فالباحث الذى يتصدى لهذه المهمة ينبغى أن يكون لديه خبرة سابقة فى هذا الميدان، وعليه كذلك أن يضع نصب عينيه العثرات والعقبات التى ستعترض طريقه خلال مراحل مسيرته فى مسالك التاريخ الشفوي؛ إذ إن السير فى هذا الطريق يتطلب باحثا مؤهلا علميا، متسلحا بالصبر والدقة والموضوعية، إضافة إلى ضرورة خضوعه لتدريب خاص على أيدى خبراء متمرسين فى مجال البحوث الشفوية بمراحله المختلفة : النظرية والميدانية .

أساسيات اختيار الرواة :

جرت العادة أن يحدد الباحثون فى ميدان الدراسات التربوية والاجتماعية معيارا لحجم عينة مجتمع الدراسة (Sample -size)، وغالبا ما يعتمدون فى إقرار حجم العينة على عدة أسس؛ أهمها : عدد المتغيرات التى يضبطها الباحث فى تحليله[١٦]، وأنماط الاختبارات الإحصائية التى يرغب الباحث فى بنائها[١٧]، والغرض الذى يجرى من أجله الدراسة (نوع الدراسة)[١٨]، ونوع مجتمع الدراسة، وحجم المجتمع الأصلى، والأدوات المستخدمة، وأحيانا عدد المتغيرات والإمكانات.[١٩] وعلى هذا فإن كل دراسة – وتبعا للعوامل السابقة– تتطلب حدا أدنى لعدد عناصر العينة.[٢٠] لكن الباحثين فى التاريخ الشفوى ليس لديهم نظرية محددة تقرر حجم عينة الرواة؛ فأحيانا يضطر الباحث إلى مقابلة جميع الأحياء المعاصرين لحدث معين اعتمادا على الانتقاء الطبيعى للرواة، وفى هذه الحالة يمكن اعتبار جميع الأحياء عينة تمثيلية[٢١]، كذلك فإن حجم عينة الرواة فى التاريخ الشفوى يتحدد أحيانا تبعا لموضوع الدراسة؛ فإن كان الحدث قد مضى عليه وقت طويل، يكون عدد الرواة بالطبع قليلا، أما إذا كان الحدث قريبا من فترة الباحث، فيكون هناك احتمال لتوافر

عدد كبير من الرواة . كذلك فإن الإمكانات المادية والفنية للباحث تقوم بدور كبير فى تقرير حجم العينة . ومن العوامل الأخرى التى تقرر حجم العينة فى التاريخ الشفوى الظروف الأمنية والسياسية المحيطة؛ إذ إن بعض الرواة يمتنعون عن تزويد الباحث برواياتهم، خشية تعرضهم للأذى والاضطهاد من قبل أشخاص أحياء لهم صلة بالأحداث موضوع الدراسة، وأحيانا تقف المصلحة الوطنية عقبة فى سبيل توفير رواة مستعدين لإطلاق عنان الصدق أمام رواياتهم حول حدث معين، وأحيانا يمتنع الأفراد ذوو المراكز الحساسة والمهنيون العاملون فى المجال الرسمى (الذين يعتبرون السرية مثلهم الأعلى) عن التعامل مع الباحث، كذلك فإن كبار السن غالبا هم من الطبقة المحافظة، ومن ثم يؤثرون الاحتفاظ برواياتهم وعدم البوح بها[٢٢]، كذلك فإن عدم استقرار الرواة وتنقلهم من مكان إلى آخر يعد عاملا مؤثرا فى تقرير حجم العينة[٢٣]، وإضافة إلى ذلك فإن البحث فى التاريخ الشفوى وتوثيق أحداث الماضى مرتبطان بعينة اجتماعية خاصة، على خلاف العينة التى تتطلبها الدراسات التربوية والاجتماعية لرصد ظاهرة اجتماعية أو تربوية وتفسيرها ووضح الحلول المقترحة لها، فالتاريخ الشفوى يعتمد على عينة مقصودة،[٢٤] وليست عشوائية، بمعنى أنها عينة مقيدة محددة بأوصاف وشروط خاصة، ومن ثم فإن حجم العينة يقرره تلك المواصفات والشروط؛[٢٥] فهى بذلك عينة تختار لغرض معين (Purposive sampling)، ينتقيها الباحث بحيث تشكل وحداتها مجتمع الدراسة بناء على حكمه المبنى على مطابقة كل منها لأغراض بحثه المحدد[٢٦].

وأحيانا نتيجة لظروف استثنائية قد يقتصر حجم العينة فى التاريخ الشفوى على فئة قليلة جدا قد تتألف من شخص واحد، على أساس أن هذه

العينة تمتلك معلومات عالية الدقة والأهمية، ولا يمكن تحصيلها من مصادر بديلة، ومثل هذه العينة تمثل أحيانا عينة تمثيلية لمجتمع الدراسة بأكمله، نظرا لأنها تمتلك من المواصفات والمزايا ما يجعل رواياتها الشفوية ذات مستوى عال من الأهمية والأصالة، ومن ذلك : مشاركة هذه العينة فى الحدث موضوع الدراسة مباشرة، المستوى العلمى، القدرات العقلية فى تذكر الحدث، الاطلاع على خفايا الأمور، امتلاك الوثائق المهمة، القدرة على سرد الأحداث بدقة وتفصيل . ويمكن تسمية مثل هذه العينة بدراسة الحالة (The case studies)، لأنها تشكل منهجا ذا قيمة مهمة بالنسبة للباحثين فى التاريخ الشفوى، حيث تعد البيانات التى نحصل عليها فى دراسة الحالة قوية وقريبة من الحقائق، كما أنها تقدم تفسيرا لكثير من الظواهر المبهمة لدى كثير ممن عاصروا الأحداث، كما تعد هذه العينة أرشيفا وبنكا للمعلومات[٢٧]، وعلى هذا فإن المعلومات والبيانات المستقاة من شاهد واحد لا تعامل دوما على أساس أنها فى مرحلة أدنى من غيرها[٢٨] .

يتضح مما سبق أن حجم العينة فى التاريخ الشفوى وطرق اختيار وحداتها تقررها اعتبارات مختلفة عن تلك التى تتحكم فى حجم العينة وطرق اختيارها فى الدراسات الميدانية التربوية والاجتماعية؛ فالعينة فى هذه الدراسات تكون عادة واسعة ومتوافرة، لأن الظاهرة التربوية أو الاجتماعية تمس عددا كبيرا من أفراد المجتمع، بل يعايشها أغلب المجتمع بكافة شرائحه وطبقاته، ومن ثم فهى تشكل جزءا لا يتجزأ من حياة أفراده، وهو مما يسهل رصدها وتفسيرها؛ لذا نجد لدى المتخصصين فى الدراسات التربوية والاجتماعية طرقهم الخاصة فى اختيار العينات التى تمثل مجتمع دراساتهم، لأن الكثير من المشاكل التى تواجه الأبحاث التربوية والاجتماعية يتعذر

مواجهتها أو حلها علميا بدون الالتجاء إلى أسلوب اختيار العينة؛ فالظواهر التربوية والاجتماعية تعبر عن نفسها فى نطاق واسع من الوحدات، وهو مما يجعل من الصعب بل من المستحيل على الباحث أن يعد بحثه ليشمل كل نطاق الظاهرة، ويتناول كل وحدة من وحداتها، ومن أجل هذا يجد هذا الباحث نفسه مضطرا إلى اختيار عينة من المجتمع الذى هو موضوع الظاهرة، ويجمع منه المادة والمعلومات التى تمثل المجتمع فى مجمله، ومثل هذا الإجراء يمكن الباحث من جمع بيانات كان من الصعب بل من المستحيل أحيانا أن يحصل عليها بأسلوب الحصر الشامل(٢٩).

وبطبيعة الحال فإن الباحثين فى هذا الميدان يعتمدون طريقة أو أكثر فى اختيار عينات مجتمع دراستهم، وذلك حسب الظاهرة، وحسب مجتمع الدراسة، وحسب الإمكانات والاعتبارات الفنية، وغير ذلك من العوامل(٣٠)، بخلاف الحدث التاريخى؛ فهو محكوم بأبعاد مكانية وزمانية، ومقيد بأشخاص معينين، بالإضافة إلى ذلك فإن الحدث التاريخى، على الرغم من معايشة أغلب أفراد المجتمع لجوانبه ومظاهره المختلفة، ترتبط عملية تكوينه بأفراد معينين؛ ذلك لأن التاريخ الشفوى لا يرجى من وراء رواياته إنشاء مقال أدبى مثير، بقدر ما هو تصوير للماضى على حقيقته، وتفسير لأحداثه على نحو منطقى وموضوعى يكشف عن حقيقة الواقع .

وانطلاقا من ذلك يمكن القول إن العينة فى التاريخ الشفوى تتميز بخصوصيات ومحددات معينة، تجعلها منفردة عن غيرها من العينات التى تنتخب لإجراء الدراسات الميدانية والتجريبية الأخرى، لأن العينة فى التاريخ الشفوى تدون تاريخ الأمة فى حقبة تاريخية معينة، ومن هذه النقطة تأتى أهمية اختيار نوع العينة فى التاريخ الشفوى، فالتاريخ لا يتسع للأهواء

والميول، فكل رواية يقررها الراوى تكون لبنة من لبنات البناء التاريخى للأمة، ومن ثم ينبغى على الباحث أن يتوخى الدقة والحذر الشديدين فى اختيار أفراد عينة دراسته، وعليه أن يقطع شوطاً طويلاً من التمحيص والبحث والتنقيب والتقييم قبل أن يقرر عينة دراسته، فإذا أحسن اختيار موارد معلوماته، وأجاد فى محاكاتها بموضوعية ونزاهة، فإنه سيخرج بدراسة ذات مستوى عال من الدقة والصدق عن الحدث الذى يتصدى لدراسته.

وعلى الرغم من الاعتبارات السابقة المتعلقة بحجم العينة وطرق اختيارها فى التاريخ الشفوي؛ فإنه يتوجب على الباحث أن يأخذ بعين الحسبان الملاحظات الآتية : يفترض فى الباحث فى التاريخ الشفوى أن يوفر الحد الأدنى من حجم العينة التى تمثل مجتمع الدراسة، بحيث يفى حجم العينة بالغرض المطلوب،(٣١) ذلك لأن تقصير الباحث فى توفير عينة تمثيلية تغطى جوانب الحدث المختلفة؛ وتبرز مظاهره ودقائقه، يؤدى إلى بتر الحدث وتشويه صورته؛ فحجم العينة فى بعض الأحيان يؤثر فى نتائج البحث،(٣٢) أما إذا كان صغر حجم العينة يرجع إلى اعتبارات خاصة، كأهمية أفرادها، ومشاركتهم المباشرة فى الحدث، أو موت معظم الذين عاصروا الحدث، فلا ضير فى ذلك.

كذلك ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى أن يحدد مجتمع البحث الكلى وأن يحدد خصائصه، كى يتمكن من اختيار عينة ممثلة، لأن عدم القيام بهذه الخطوة من شأنه أن يعرقل عملية تشكيل العينة الممثّلة لمجتمع الدراسة، ويشترط أن تتوافر فى هذه العينة الكفاية، بمعنى اشتمالها على جميع الفئات التى يتطلع إليها للكشف عن الخطوط الرئيسية والتفصيلية لجوانب البحث المختلفة(٣٣) .

كذلك يحسن بالباحث فى التاريخ الشفوى قبل البدء بالدراسة أن يعرف عدد عناصر عينة المجتمع الأصلى، وأن يحدد نسبة عدد عناصر العينة إلى عدد عناصر المجتمع المعنى بالدراسة. وتعد هذه الخطوة مهمة حتى يتمكن الباحث من الاستعداد والتخطيط المسبق لمراحل البحث النظرى والميدانى . وعلى الباحث أن ينتبه إلى أمر يتعلق بدرجة التجانس؛ فإذا كانت درجة التجانس كبيرة بين وحدات المجتمع الأصلى، يمكنه الاكتفاء بعينة صغيرة الحجم، أما إذا كان التباين كبيراً، فمن الواجب أن يكون حجم العينة كبيراً(٣٤)، لما لذلك من فوائد تعود على الباحث من حيث توفير وقته وتقنين إمكاناته وجهده .

وعلى الباحث فى التاريخ الشفوى أن يتوقع صعوبات ومعوقات قد تواجهه أثناء تحصيل معلوماته من الرواة، ومن ثم يكون عليه أن يضع البدائل والحلول المناسبة لتجاوز تلك العقبات بدون أن يؤثر ذلك على مراحل دراسته ومسيرتها، أو على صدق نتائجها. ومن الصعوبات المتوقعة التى قد يواجهها الباحث فى التاريخ الشفوى فيما يتصل بالرواة انسحاب عدد من الرواة؛ إذ قد يرفض بعض الرواة الاستمرار فى التعاون مع الباحث من جرّاء ظروف معينة، أو قد يتسرب بعضهم خلال اللقاءات، وربما يغيب بعض الرواة الذين تم اعتمادهم عينة للدراسة لسبب أو لآخر، وبطبيعة الحال فإن هذا الطارئ قد يفقد الدراسة درجة صدق العينة بوصفها شريحة ممثلة للحدث المدروس الذى بدأ به الباحث، وللتغلب على هذه المشكلة يجب على الباحث أن يجهد فى البحث عن أفراد جدد بهدف إضافتهم إلى العينة، بحيث يتخير عدد مماثلاً للعدد الذى فقده فى العينة الأساسية، وبحيث يكون هذا العدد مأخوذا من

شريحة مشابهة للعينة نفسها تقريباً،[٣٥] أو أن يعثر الباحث عل عينة نوعية تسد الفراغ الكمى الذى تركه المنسحبون من أفراد العينة الأصلية .

كذلك ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى أن ينتبه إلى المصادر الثانوية، فبالرغم من أن المصادر الثانوية عادة ما تكون قليلة القيمة من الناحية العلمية، بسبب احتمال ورود أخطاء فى رواياتها من جرّاء تناقل المعلومات من شخص إلى آخر، فإنه ينبغى عدم الاستهانة بقيمتها العلمية؛[٣٦] ففى حالات كثيرة تسهم تلك المصادر على نحو فاعل فى كشف جوانب غفلت عنها المصادر الأصلية، وأحياناً يكون للصدفة دور إذا كان لدى الرواة الثانويين معلومات وبيانات مهمة يندر أن يجدها الباحث لدى الرواة الأصليين (عينة دراسته)، وكى يتمكن الباحث فى التاريخ الشفوى من العثور على رواة الأحداث الذين لهم صلة بموضوع دراسته، عليه أن يبدأ بالرواة من المهمين المقربين إليه، لأن هؤلاء سيوفرون له التشجيع المطلوب والنصائح التى تنفعه لمتابعة بحثه،[٣٧] وذلك بتزويده ببيانات ووثائق تشكل الخيوط الأساسية الأولى لمحاور بحثه، كما أنهم – بحكم صلتهم بالأحداث قيد البحث – يعرفون تماماً عناصر أخرى لها علاقة بالحدث موضوع الدراسة، ومن ثم سيكون لهم دور مهم فى توسيع دائرة مجتمع دراسته بطريقة أقل عناء وجهداً وتكلفة، وهذه الطريقة أشبه بالعينة التراكمية (Snowball sampling) حيث يحدد الباحث عدداً قليلاً من أفراد الذين تتوافر لديهم الخصائص التى يحتاج إليها، ويقوم هؤلاء بدورهم بتحديد آخرين غيرهم وهكذا.[٣٨] وعلى الباحث ألا يتجاهل أياً من هؤلاء إلا إذا تأكد له أن أولئك لن يفيدوا بحثه[٣٩]، كذلك يتوجب على الباحث فى التاريخ الشفوى كى يستدل على الرواة أن يطلع على الأرشيفات والمصادر المكتوبة التى تتناول موضوع بحثه، فهذه السجلات المكتوبة تفيده

كثيراً فى اختيار عينة تمثيلية (٤٠)، وكذلك يمكنه الإفادة فى هذا المضمار من خبرات المتخصصين والباحثين الذين يمتلكون الخبرة والمعرفة فى البحث الميداني،(٤١) ولا بأس إن أخضع أدوات معلوماته ومصادرها لتحكيم أصحاب الخبرة(٤٢).

وعلى الباحث انتخاب عينة تمثيلية تخدم أغراض البحث بطريقة مثلى، وأن يتجنب محاولات اقتناص الفرص للعثورعلى رواة قد يشوهون صورة الحدث التاريخى، فالمهم فى الرواة من يعرف أكثر وليس من يتبوأ مركزاً أو وظيفة أو يمتلك لقباً أو جاهاً (٤٣)، فالباحث فى التاريخ الشفوى عليه أن يؤثر الحقيقة التاريخية على أهدافه الخاصة، وأن يعلو بالحقيقة التاريخية فوق كل اعتبار، فلا يجعل من عمله سلماً يصل بوساطته إلى أفراد النخبة الذين قد لا تكون لهم صلة بالأحداث موضوع البحث، وإنما عليه أن يتصل بالرواة الحقيقيين الذين بإمكانهم تزويد بحثه وتغذيته بالبيانات الواقعية المهمة.

أساسيات تقييم الرواة :

تتحدد قيمة الروايات الشفوية من خلال تقييم أصحاب هذه الروايات، فالرواة يقررون على نحو رئيسى موقع رواياتهم من حيث قوتها أو ضعفها، وهناك عدة عوامل تقف وراء تصنيف الروايات الشفوية التاريخية، بعضها يتصل بالرواة، وبعضها الآخر يتصل بالباحث فى التاريخ الشفوى، انطلاقاً من أن كلاً من الباحث والراوى يتأثر أحدهما بالآخر، فالراوى يتأثر بالباحث، حتى لو اقتصرت مهمته على السماع فقط، إذ إن وجود شخص غريب يؤثر فى سياق الظرف الذى يستذكر فيه الراوى الماضى، وكذلك فإن الباحث – من جرّاء مواقف وظروف معينة، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة – قد

يشارك فى توجيه الروايات الشفوية نحو زوايا معينة، وقد يشارك أحياناً فى إنتاج شواهد تاريخية[٤٤] لا تمس الواقع التاريخى موضوع البحث .

أولاً : تقييم الروايات التاريخية تبعاً للرواة :

حاول المؤرخون والإخباريون فى عصر صدر الإسلام تطبيق قواعد علم مصطلح الحديث لتحقيق النقد التاريخى، كما أفادوا كثيراً من هذه القواعد فى عملية التقييم والنقد الداخلى والخارجى وتحقيق النصوص التاريخية؛[٤٥] فقد تمكن علماء الحديث من الوصول إلى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة بأن سلكوا منهجاً سليماً، إذ رأوا أن الطعن فى الحديث ينقسم إلى قسمين : القسم الأول يتعلق بأحوال رواة الحديث النبوى وصفاتهم ومراتبهم من الجرح والتعديل، والقسم الآخر يتعلق بضبط المتن، أى النص، فقد اقتضت الدراسة النقدية للخبر التحقق من صدقه، ومن ثم وجب التحقق من صدق الراوى.[٤٦]

يمكن تقييم الروايات الشفوية التاريخية من خلال تقييم الرواة أنفسهم . وعملية تقييم الرواة فى التاريخ الشفوى تتم بطريقتين؛ هما : النقد أو التقييم الظاهرى الخارجى (External Criticism) وهو تقييم يوجه للمصدر (الرواة) وليس لما يحويه من مضمون،[٤٧] وهو ما يطلق عليه علماء الضبط المتعلق بالراوي[٤٨] ثم النقد أو التقييم الباطنى الداخلى (Internal Criticism) [٤٩] وهو تقييم يهتم بمعالجة البيانات والمعلومات التى ذكرها المصدر (الروايات)،[٥٠] وهو ما يطلق عليه علماء الحديث الضبط المتعلق بالمتن[٥١] .

هناك اعتبارات متعددة يمكن تقريرها بوصفها أسساً يمكن الاعتداد بها فى عملية تقييم الرواة ونقدهم نقداً ظاهرياً، بحسبان أن المصادر فى أغلبها

غير دقيقة على نحو أو آخر، بل هى ملونة بعنصر المحاباة والتحيز والمصلحة الذاتية، ومن ثم فإن الإجراء العملى للتأكد من صحة الروايات الشفوية يتطلب تقييم الرواة (النقد الظاهري)، وتقييم رواياتهم (النقد الباطني)، ولعل أهم الاعتبارات التى ينبغى الالتفات إليها – عند تقييم الرواة (التقييم الظاهري) – يتركز فى النقاط الآتية :

١ – **التحمل والأداء** : شرط علماء الرواية لصحة التحمل والأداء شروطاً كثيرة؛ هى أن يكون الراوى فى سن يؤهله لتحمل الخبر[٥٢] كما اشترطوا ضبط الراوى، بمعنى الفطنة والدراية بالمروى [٥٣] بالإضافة إلى التثبت، والتحرى، ودقة الملاحظة، والدقة فى النقل والصدق فى الأداء.[٥٤] وقد سبق أن اشترط المحدثون والإخباريون فى الراوى العقل والضبط والعدالة، أما العقل فيقصد به القدرة على التمييز حتى يتمكن من حمل الرواية، وأما الضبط فيعنى أن يتمتع الراوى بقوة الذاكرة، ودقة الملاحظة، فضلاً عن الفهم، وأما العدالة، فالمقصود بها استقامته التامة.[٥٥]

٢– **الصدق والعدالة** : لقد مارس الصحابة الجرح والتعديل بقصد التثبت والتحرى، لا بقصد الشك والاتهام،[٥٦] لكن بعض المؤرخين ذهبوا إلى أن شك المؤرخ هو رائد حكمته، ونقطة ابتداء المؤرخ عندهم هى الشك المنهجى فى الراوى وفى النص. [٥٧] ومهما يكن من أمر فإن مهمة المؤرخ فى النقد الخارجى شبيهة بمهمة المحقق، من حيث استنطاق الشهود، وجمع شهاداتهم، ثم نقدها فى سبيل استجلاء ما حدث. [٥٨] ومن هنا ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى أن يعرف عن رواة أحداثه ما لا يعرفونه عن أنفسهم،[٥٩] وأن يكتشف ما يدور فى عقول الرواة من خلال استعادة تجاربهم المباشرة[٦٠] .

قد يضطر الراوى – من جرّاء ظروف ومواقف معينة – إلى ستر الحقيقة التاريخية أو تشويهها . ومن أهم البواعث التى قد تدفع الراوى إلى هذا العمل عوامل نفسية تمس خلق الراوى، وعوامل اجتماعية تمس المجتمع(٦١) . وتندرج تحت هذه العوامل أمور كثيرة؛ أهمها : المصلحة الذاتية التى تدفعه أحيانا إلى تقديم معلومات ليست شاملة ولا تمت للحقيقة التاريخية بصلة(٦٢)، وأحيانا يحيد الراوى عن الحقيقة التاريخية تملقا لجمهور القراء، فيطرح أفكاراً تتفق مع جمهوره، فيشوه الوقائع ابتغاء تكييفها مع أهوائهم(٦٣)، وقد يكون مبعث ابتعاده عن الحقيقة التاريخية أسباب تتعلق بانتماءاته إلى جماعة أو طائفة أو حزب أو فلسفة أو حضارة معينة(٦٤) . وهناك ظروف قاهرة تدفع الراوى إلى تمويه الحقيقة التاريخية، وهذه الظروف ربما تكون سياسية أو غيرها تتصل بأمته أو شعبه، فيضطر الراوى إلى التضحية بالأمانة التاريخية من أجل مصلحة عليا وطنية أو قومية(٦٥)، وأحيانا" يتناسى الراوى الحقيقة التاريخية انصياعا للعرف الاجتماعى أو القبلى السائد(٦٦)، بل قد يضطر إلى اختراع مزارات وعوالم جديدة من المعرفة، من أجل تقديمها للأجيال بوصفها تناسب تقاليد الأسلاف(٦٧)، وبذلك يمكن القول إن قوة القوانين والتقاليد الاجتماعية قد تذهب بالراوى بعيدا عن ذكر الحقيقة التاريخية(٦٨).

وقد يشوه الراوى الحقيقة التاريخية من جرّاء انسياقه وراء غرور فردى أو جماعى. وأهم ما فى هذا الجانب هو سعى الراوى إلى تمجيد شخصية أو جماعة معينة(٦٩)، ومن ثم فإنه قد يحجم عن تقييم أعمال بعض الشخصيات البارزة، وهذا ما يعرف بوهم التجسيد، بمعنى أن الراوى يرى فى الشخصية التاريخية تجسيدا لشخصية الأمة، ومن ثم فإنه يتحرج من إدانتها، لأنها تنطوى على إدانة لمجموع الأمة،(٧٠) وعلى هذا فإن عدم رغبة الراوى فى قول الصدق يؤدى إلى خطأ التعبير عن الحقيقة أكثر من حذف الحقيقة نفسها(٧١).

كذلك فإن الراوى قد يجافى الحقيقة بهدف استعراض أساليبه، فيفرض الأسلوب الأدبى على الراوى التضحية بالصدق أحيانا، ربما لتملق جمهوره بحيل أدبية ليجعلها أجمل حسب تصوره للجمال(٧٢)، وربما لنزعته نحو المفاخرة بالقدرات الشخصية، خاصة أن الثقافة الشفاهية تشجع الذلاقة والمبالغة وطلاقة اللسان(٧٣)، وربما لإضفاء صفة الملحمية على شخصية أو حادثة ذات أهمية خاصة(٧٤)، وأحيانا قد يحيد الراوى عن ذكر الحقيقة لوقوعه تحت ظروف وضغوط مضادة(٧٥) .

لابد من الانتباه إلى أن بعض الرواة يسعون إلى ذكر الحقائق التاريخية كما وقعت، ولكن قد تختلط رواياتهم بنوع من الضبابية بسبب تداخلات معينة؛ فقد يكون الراوى صادقا ورعا، ولكنه مغفل يصدق كل ما يقال له، والمشكلة هنا فى حسن النية لا فى سوئها(٧٦)، فالغفلة خلل فى ضبط الراوى يتعلق بقواه العقلية والنفسية التى تمثل أجهزة استقبال المعرفة، فإذا أصاب أحدها عطب أو خلل، لا يعد صالحا لإدراك المعرفة واستقبالها(٧٧). وقد لا يكون الراوى فى موضع يسمح له بملاحظة الواقعة، ولكن خيل إليه أنه لاحظها فعلا، بيد أنه أساء الملاحظة نتيجة لدوافع باطنية أو شعورية (هلوسة أو وهم)، أو قد تكون الوقائع المروية بطبيعتها من النوع الذى يصعب معرفته وإدراكه بالملاحظة وحدها، كالوقائع التى تعبر عن حالة باطنة لا يمكن أن تشاهد(٧٨)، فطبيعة بعض الأحداث التاريخية تتحكم فيها عوامل تتعلق بمدى الإحاطة بها، أو فى معاينتها بموضوعية كافية بحكم طبيعتها(٧٩) .

أحيانا لا ترجع أسباب تشويه البيانات المقدمة إلى عدم مصداقية الراوى، بقدر ما تعود إلى كسله وإهماله، فقد يروى تفاصيل لم يشاهدها، بل تخيلها أو استنتجها بدون أن يتحققها بسبب الإهمال لا أكثر(٨٠)، فميل الراوى إلى الكسل أو الإهمال يؤدى إلى عدم قدرته على الملاحظة العلمية الموضوعية بنفسه،

وهذا يدفعه إلى الاعتماد على روايات آخرين زعموا أنهم شاهدوا الحدث، فيخيل له عقله القاصر تصديق روايات الآخرين، فيأخذ ذلك على عاتقه، ويرويه على أنه شاهده(٨١). وبطبيعة الحال فإن الروايات الشفوية التى يدلى بها رواة عن أحداث سمعوا بها ولم يشاهدوها تدخل فى باب التراث الشفوي(٨٢)، وليس فى باب التاريخ الشفوى. وفى هذا الصدد أيضا لابد من التنبه إلى الفرق بين الخطأ والكذب ؛ فالكذب يرجع إلى فقدان العدالة والأمانة، أما الخطأ فيرجع إلى نقص فى الدقة والضبط . والعدالة تصدر – فى الأصل – عن مصدر خفى باطنى، أما الضبط فيصدر عن مصدر حسى ظاهرى. والمعرفة الحسية أوضح بكثير من المعرفة الباطنية؛ فخطأ الحواس ظاهرى ومن السهولة إدراكه، أما خطأ الباطن فخفى، ومن الصعوبة بمكان إدراكه . أضف إلى هذا أن الكذب حقيقته خيال وخياله حقيقة، أما الغلط فحقيقته حقيقة، بيد أنها حقيقة مهترة، وخياله خيال بيد أنه خيال مهتز(٨٣).

إن أمر العدالة والضبط عند الراوى الواحد ليس جامعا مانعا كما يقول المناطقة، إذ قد يكون عادلا ضابطا فى بعض ما يقول، ويكون على عكس ذلك فى بعض أقواله الأخرى (٨٤)، ولكن هناك أحوالا بعينها تشير إلى صدق الروايات التاريخية، كأن يكون الموضوع قيد البحث مسألة لا يبالى بها الشاهد، وعندما تكون الحقائق شائعة ومعروفة لدى الجميع بدرجة تجعل الشاهد لا يحيد إلى مخالفتها أو تشويهها(٨٥)، وعندما تتضمن الروايات عبارات تحامل من الراوى على نفسه أو على جماعة عزيزة عليه(٨٦).

٣ – **القوة العقلية** : من العوامل التى تمس ضبط الراوى ويترتب عليها جرحه والطعن فى روايته اختلاط وذهابه عقله، وهذا الاختلاط قد يكون طارئا على الراوى نتيجة لكبر سنه مثلا، وقد يكون متأصلا فيه . ومهما يكن من أمر فالاختلاط أو ذهاب العقل من بواعث جرح الراوى، فمن

أسس صحة الرواية القدرة على التمييز والضبط، والذى فقد عقله لا يستطيع التمييز بين الصالح والزائف، وصفوة القول أن القدرة على التمييز والضبط شرط أساسى من شروط صحة الرواية، فإذا اختل ضبط الراوى لغفلته أو شذوذه أو كثرة غلطه أو اختلاطه وذهاب عقله، أصبح مُجرّحا مردود الرواية(٨٧).

٤ - **قوة الذاكرة** : هناك عدة عوامل تتحكم فى قوة تذكر الراوى للأحداث الماضية ؛ فالرغبة والمزاج يؤثران فى قدرة الراوى على التذكر ؛ لأن الإنسان يتذكر بقوة عندما يرغب فى ذلك، أو عندما يكون فى حاجة إلى التذكر، فهو يميل بطبعه إلى نسيان الأحداث المؤلمة أو المخجلة فى حياته . وتختلف عملية التذكر حسب فترات العمر المختلفة، فالشهادات التى تجمع من خلال ذكريات أغلب الكهول تعد فى أحوال كثيرة مضطربة فيما يتعلق بالأحداث وبتسلسلها الزمني(٨٨)، وهناك عوامل أخرى قد تؤثر بقوة فى الذاكرة هى عوامل تتعدى أحيانا عامل العمر ؛ مثل : المرض، والأحداث المأساوية : كالترمل وفقدان الأعزاء وما شابه ذلك(٨٩). ولذلك فإن إعادة الماضى كاملا كما يتوخاه المؤرخون، يعد هدفا أبعد من أن يتم الوصول إليه بأى حال من الأحوال ؛ لأن ماضى البشرية أبعد من القدرة على تذكره . حتى أولئك الذين منحهم الله تعالى ذاكرة قوية، لا يمكنهم تذكر الماضى بشموليته ؛ لأن كثيرا من الحوادث والشخصيات والكلمات والأفكار والأماكن والتخيلات تكون قد تسللت إلى زوايا النسيان(٩٠).

٥ - **استقامة النفسية** : نادى عدد من المؤرخين بتطبيق مناهج علم النفس والطب النفسى على المعلومات التاريخية للوصول إلى فهم أعمق لسلوك الأفراد والجماعات(٩١). وقد ساعدت آراء مدارس التحليل النفسى على فحص تأثير العوامل العاطفية فى سير الأحداث التاريخية ؛ إذ إن التاريخ

يتناول فى آن واحد نوعين من الوقائع : وقائع مادية تعرف بالحواس (أحوال مادية وأفعال بنى الإنسان)، ووقائع من طبيعة نفسانية (عواطف وأفكار ودوافع)[٩٢] لا يدركها إلا الشعور، وهى تقتاد أفعال الناس الحقيقية[٩٣]. وفى التاريخ الشفوى يحدث أن تشذ رواية الراوى عن رواية الثقات، وقد يرجع هذا الشذوذ إلى سوء حفظ الراوى ؛ نتيجة لضعف ذاكرته وعدم قدرته على التركيز، وقد يرد إلى غير هذا، كمزاج الراوى وحبه للغريب، وولوعه بالشاذ والنادر من الأخبار . وبهذا فإن طبائع الراوى النفسية تنعكس على رواياته[٩٤]. وهذا يدعونا إلى القول بأن المعرفة التاريخية غنية بتعبير الشخصية وانطباعاتها الفردية[٩٥]، ومن ثم فإن الشواهد ليست إطلاقا، وليست كاملة بشكل واف، وهى أيضا ليست واضحة تماما حتى تساعد على تقديم تفسير مطلق غير قابل للنقاش، فهناك تأثيرات فى السلوك البشرى، منها ما يتعلق بالاضطرابات العصبية، ونتيجة، لذلك فمن المرجح أن تسود فرضيات متباينة فى حقل التاريخ[٩٦].

٦ - **المستوى العلمى** : هناك مفهوم الضبط الذى يفرق بين اتجاهات الرجل العادى واتجاهات الرجل العالم بالنسبة للخبرة، فالرجل العادى لا يحاول الضبط أو التحكم عندما يريد أن يصف أى حدث أو موقف معين، فى حين يكون العالم واعيا تماما بالأسباب المتعددة التى تتدخل فى أى حدث، ولذلك فهو يعمد إلى عزل أثر واحد أو أكثر من هذه الأسباب واختباره، مستخدما، فى ذلك أساليب محددة تخدم هذا الغرض[٩٧]. كذلك فإن العالم يقارن آراءه الذاتية بالنتائج الموضوعية، فهو يعرض انطباعاته على محكمة الاستقصاء العملى للفحص والاختبار، فصفة التصحيح الذاتى هى من أهم صفات العالم[٩٨]. كذلك فإن العالم يبنى نظرياته بعناية وبنظام وبمنطق، وأية فروض يضعها يختبرها بطريقة عملية حتى تقوم تفسيراته

ونتائجه على قواعد صلبة من الحقيقة[٩٩]. أما الشخص العادى فإنه يضع نظرياته على أساس أحداث عشوائية، ويستخدمها بطريقة مفككة، وبأسلوب غير ناقد، ويختار فى الأغلب الشواهد أو الأدلة التى تتفق مع حدسه وأحاسيسه وتخمينه، ويتجاهل ما يتعارض معها[١٠٠].

كذلك فإن العالم يبدى اهتماما خاصا بالعلاقات، ولا يحكم بوجود علاقة بين ظاهرتين إلا بعد دراسة مستفيضة. أما الرجل العادى فيكون اهتمامه بهذه العلاقات سطحيا، كما أنه لا يهتم بها بطريقة منضبطة ومنظمة[١٠١]. وانطلاقا من ذلك فإن توافر الخبراء فى مجالات المعرفة الشفوية أمر حيوى، فالأفراد الذين يمتلكون خبرات واسعة وبصيرة متعمقة، تكون آراؤهم غاية فى الأهمية والفائدة، كونها تصدر من فئة تمتلك المعرفة والخبرة والتجربة والممارسة، وهذه أدوات فاعلة تمكن صاحبها من احتواء البيانات بشكل شمولى، واختراق أعماقها، وتمكنه من ثم من رؤية دقائقها وثناياها وخفاياها المختلفة على نحو أدق وأكثر موضوعية وعلمية .

٧ – **الموقع الاجتماعى والدور الوظيفى** : إن القوى المحركة للتاريخ والتطور الاجتماعى انحسرت فى مصالح وأهواء فردية غالبا[١٠٢]، فالثابت تاريخيا أن الدولة أكثر ارتباطا بكتابة التاريخ من أى نشاط آخر، فالسلطة السياسية أو من كانوا يطمحون إلى ممارستها، يلجأون دوما إلى الماضى ؛ لأن النخبة السياسية عادة ما يكون لها مصلحة فى دعم نوع من الكتابة التاريخية التى تضفى الشرعية على مواقعهم فى النظام السياسى، إما عن طريق تأكيد إنجازاتهم الماضية، وإما من خلال إقامة الدليل على شرعية مناصبهم. أضف إلى ذلك أن التاريخ السياسى يحظى دائما بجمهور من القراء يتوق بشدة إلى معرفة ما يتضمنه من أزمات وأحداث[١٠٣]. وانطلاقا من ذلك ينبغى النظر إلى البيانات المستقاة من النخبة الاجتماعية

المرتبطة بمواقع سياسية بعين الحذر ؛ ذلك أن تفسيراتهم للأحداث عادة ما تتأثر بمراكزهم القيادية، بل إن الأقل فى المركز قد يتأثر برأى صاحب المركز الأعلى(١٠٤). كذلك فإن هذه الفئة غالبا ما يتطبع أفرادها بطباع الجماعة التى ينتمون إليها(١٠٥)، فيقررون أحداثا تاريخية وهم فى وضع من الشلل العقلى والفكرى من جراء تسلط أيديولوجية معينة على أنماط تفكيرهم. فإن بعض الرواة الذين ينتمون إلى النخبة القيادية كثيرا ما يتحفظون عند توثيق تجاربهم، بخاصة ذوى المراكز المؤثرة منهم (١٠٦). وفوق هذا كله بعض الرواة من أصحاب المناصب القيادية يسمون بمصلحة الوطن والأمة فوق الحقيقة التاريخية(١٠٧). أضف إلى ذلك الخوف من أصحاب السلطان وعوامل أخرى تتعلق بالمنفعة الذاتية(١٠٨)، وهى عوامل يجب وضعها فى الحسبان.

٨ - **معاصرة الحدث** : هناك مسلمة تدعى الإمبريقية (Empericim) أو التجريبية أو الخبرية، تعتقد أن بعض أنواع المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها لا تنشأ إلا من خلال الخبرة، وهذا يعنى فى الواقع أو عمليا - من وجهة النظر العلمية - أن الاحتفاظ بنظرية ما أو مسلمة معينة يتوقف على الأدلة الإمبريقية التى تساندها، فالإمبريقية بوصفها عملا علميا تؤكد أن أفضل الطرق للحصول على معلومات يعتمد عليها، هو طريق الأدلة التى يتم التوصل إليها عن طريق الخبرة المباشرة(١٠٩).

إن الروايات الشفوية تتفاوت من حيث مصداقيتها تبعا لامتياز معاصرة الرواة للأحداث، سواء من خلال المشاهدة أو المشاركة أو المعايشة ؛ وذلك طبقا لشروط المشاهدة العلمية، وهى : أن يكون الراوى فى وضع يسمح له بمشاهدة الحوادث مشاهدة صحيحة، وأن يدون ما شاهده فى أثناء وقوع

الحدث، وأن يوضح بجلاء تام طريقته فى المشاهدة والتدوين، إذ قد يشاهد الراوى ما يرويه، ولكنه يكون فى وضع أو ظروف لم يتمكن فيها بدقة من النظر والسمع، وقد يشاهد ما يرويه، لكنه ينقصه الاستعداد الفنى لفهم الحدث، وقد يشاهد أيضا ولكنه يتأخر فى التدوين فتخونه الذاكرة، وقد تؤثر فيه ظروف مستجدة، فلا ينقل الخبر اليقين[١١٠]، وقد يشاهد الحدث ولكنه ليس مدربا بحيث يكون كفئا لملاحظة الحدث وتسجيله[١١١].

لا ينكر أحد أن شاهد العيان الذى يروى ما رآه أو شارك فيه بنفسه، يعد مصدرا غنيا بالمعلومات المباشرة التى تتميز بالتفاصيل الدقيقة، ولكن ذلك لا يعنى أن نأخذ شهاداته وروايته على أنها مسلمات نهائية؛ لأنه قد لا يكون محيطا بمختلف جوانب الحدث، كما أنه قد لا يستطيع أن يخلص نفسه من آفة الانحياز والميل وعوامل الرغبة فى المنفعة الذاتية، وعوامل الخوف من أصحاب السلطان[١١٢]. أضف إلى ذلك جملة أخرى من العوامل : أهمها : ظروف موقعه وأوضاعه أثناء مشاهدة الأحداث وملاحظتها ورواية خبرها، ومدى عدالته وأمانته فى التحقيق والنقل، ومدى تجرده وعدم تشيعه لأغراض ووجهات قد تحيد به عن ذكر الحقائق كما رآها[١١٣].

كذلك فإن مدى مصداقية روايات شاهد العيان تعتمد جزئيا على قرب الشاهد من الحدث . والقرب هنا يتصل بمعنيين : جغرافى وزمنى . فدرجة الاعتماد على شهادة شهود العيان تختلف بالنسبة إلى بعده الشخصى من مسرح الحدث من حيث الزمن والمسافة، وبعد الحدث من حيث الزمن والمسافة بالنسبة إلى تدوينه وتسجيله[١١٤]. من البديهى أن الشهود لا يستوون فى كفايتهم، حتى وإن كانوا متساوين فى قربهم من الحدث . فالكفاية هنا تعتمد على الخبرة، والثقافة، والحالة العقلية والصحية، والعمر، وقوة الذاكرة والمهارة القصصية ... إلخ[١١٥].

وهناك ما يعرف بالملاحظة التى هى المشاهدة والمراقبة الدقيقة لحدث أو ظاهرة معينة؛ إذ يحدث أحيانا أن تكون هذه الملاحظة نسبية كمشاهدة ظاهرة أو حدث عن طريق المصادفة بدون إعداد وتخطيط مسبقين(١١٦). وهناك الملاحظة المنظمة التى تعتمد على إعداد مخطط سابق لتجميع المعلومات وتسجيلها(١١٧)، وهناك ما يعرف بالملاحظة بالمشاركة (Participant Observation) وهى التى يقوم خلالها الراوى بدور رئيسى فى تجميع المعلومات وتسجيلها، وذلك عن طريق مشاركته فى حياة الجماعة الذين هم موضوع البحث(١١٨) ففى الملاحظة بالمشاركة يشاهد الراوى الحدث كما وقع تماما، ويكون قادرا على إعطاء ملاحظات دقيقة غنية. وهناك الملاحظة بدون مشاركة (Non - Participant Observation)؛ وهى التى تتضمن أكثر من النظر أو الاستماع فى موقف جماعى معين بدون المشاركة الفعلية فيه، من خلال إنصاته إلى ما يدور بين الأفراد من أحاديث، وما ينطبع على وجوههم من انفعالات(١١٩).

ولعل الملاحظة بالمشاركة يمكن إدخالها فى باب دراسة الحالة التى سبق استعراض جوانبها عند الحديث عن عينة الرواة ؛ إذ إنها تتميز بجمع بيانات كمية ونوعية(١٢٠). على أن بعض الباحثين يرون أن أسلوب الملاحظة بالمشاركة قد يدخل فيه عنصر الذاتية والانحياز، كما أن الروايات التى يفرزها هذا الأسلوب قد تغلف بالانطباع الشخصى الذى قد يعكس إفرازات تطبع الراوى بطباع الجماعة الذين شاركهم(١٢١).

إن نقد الراوى من حيث العدالة والضبط والأمانة والدقة لا يكفى وحده للوصول إلى صحة الراوية الشفوية التاريخية؛ لأن نقد الراوى يتضمن معالجة المصدر وليس المضمون. ولذلك فلابد من نقد المضمون، إذ إن المصدر لا يقتضى صحة المضمون (١٢٢).

ومن هنا فإنه لا يصح للباحث فى التاريخ الشفوى أن يسلم بصحة الروايات التى حصل عليها من أفراد عينة دراسته من دون إخضاعها لمنهجية صارمة من النقد التاريخى الداخلى (الباطني) قبل اعتمادها مادة مصدرية تاريخية، وذلك توخيا للأمانة التاريخية، وتجنبا للانزلاق فى متاهات الماضى المتشبعة والشائكة .

إن قوة تأثير الروايات الشفوية تحمل كثيرا على القبول بها من دون إخضاعها للنقد المنطقي(١٢٣)، على أساس أن البيانات التى يصرح بها الشهود هى بيانات معاصرة ومباشرة . وامتياز المعاصرة والمشاهدة ينبغى ألا يمنح الروايات الشفوية سموا فوق النقد التاريخى، فالباحث فى التاريخ لا يأخذ الروايات على علاتها، بل يعمد بأساليب من النقد والتمحيص إلى فحص كل منها لتبين مدى إمكان الركون إليه(١٢٤). ومن هنا فإن مهمة المؤرخ فى النقد الباطنى شبيهة بمهمة القاضى، من حيث إنه يحاول بمقارنة الشهادات ومقابلتها وسماع الشهود أن يستخرج الواقع قبل الحكم عليه . فكل رواية تاريخية متهمة إلى أن يقوم الدليل على براءتها، ولذا كان لابد للمؤرخ من أن يتصف بالشك الناقد المتزن الواعي(١٢٥).

يتناول النقد الداخلى للروايات الشفوية مضمون الروايات بهدف فهم معناها والوقوف على مدى تسرب الخطأ إليها، أو تأثير الميول والأهواء فيها.(١٢٦)

ولعل أهم الخطوات التى ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى أن يقوم بها فى عملية النقد الداخلى هى : تصحيح الرواية الشفوية؛ بمعنى تصحيح نص الرواية؛ لأن تصحيحها يعين على تفسيرها.(١٢٧)

وهناك خطوة أخرى فى عملية النقد الداخلى ألا وهى تفسير نص الرواية؛ إذ يرى أصحاب النقد التاريخى أن تفسير نص الرواية الشفوية يمر بمرحلتين؛

هما : تحديد المعنى الحرفي للنص، ولا يتم هذا إلا بشرح كل كلمة أو لفظة غريبة وردت فى الرواية شرحاً لغويا، وتحديد المعنى الحقيقى للرواية، ولا يتم هذا إلا بتحليل مضمون نص الرواية لمعرفة الأفكار الرئيسية التى اشتمل عليها (١٢٨).

وهناك ما يعرف بالنقد الباطنى الإيجابى للرواية . ويقصد به تحليل النص التاريخى، للوصول إلى المعنى السليم للألفاظ كما قصدها الراوي؛ وذلك للوصول إلى مضمون الرواية(١٢٩) كما أن هناك نقداً باطنيا سلبيا؛ بمعنى عدم اعتماد المعلومات الواردة فى الرواية على أنها تعبير عن الحقيقة خالصة، فكثيراً ما يحيد الراوى عن ذكر الحقيقة تحت ضغط ظروف معينة أو حسب أهوائه وميوله. (١٣٠) .

ثانياً : تقييم الروايات التاريخية الشفوية تبعاً للباحث :

إن الباحث فى التاريخ الشفوى يعد عنصراً مهماً فى تحديد موقع الروايات التاريخية الشفوية، من حيث قوتها أو ضعفها؛ لكون الباحث فى التاريخ الشفوى يؤدى دوراً مهما فى سير الروايات الشفوية أثناء المقابلة، من حيث الموضوعية والدقة والمصداقية، فإذا جانب الباحث المنهجية التاريخية عن قصد أو بدون قصد، فإنه سيترتب على ذلك نتائج سلبية ستنعكس على الروايات. وانطلاقاً من ذلك فإن الباحث فى التاريخ الشفوى يعد ركناً أساسيا ينبغى اعتماده عنصراً مهماً عند إجراء عملية التقييم للروايات الشفوية؛ إذ إن تعرف الباحث من حيث مؤهلاته وصفاته وخبراته وأخلاقه وانتماءاته وعلاقاته، وغير ذلك من أمور أخرى تتعلق به، تعد مؤشرات مهمة يمكن أن تفصح لنا عن كثير من الأمور المتعلقة بالروايات الشفوية التى دونها وسجلها من مصادر التاريخ الشفوى (الرواة) .

هناك عدة دواع تؤخذ فى الحسبان عند إجراء عملية تقييم الروايات التاريخية الشفوية تبعاً للباحث ؛ أهمها :

١ــ القدرة على النقد والتقييم :

لقد سبق الحديث عن أهمية النقد التاريخى فى تقييم الروايات؛ ولذا ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى أن يُخضع رواياته لأسلوب النقد والتقييم. وبطبيعة الحال فإن عملية النقد ليست بالعملية السهلة؛ وإنما هى فى حاجة إلى إنسان مدرب يملك خبرة عالية وحساً تاريخياً يمكنه من تذوق الأحداث بمنطقية قبل الحكم عليها، ولكن يجب التنبيه هنا على أن الإفراط فى النقد يؤدى إلى ارتكاب أخطاء، وأن الإفراط فى النقد نسبته إلى النقد كنسبة الحذلقة إلى الدقة، فبعض الناس يبصرون ألغازاً فى كل شيء، حتى وإن لم تكن موجودة، فيتحذلقون فى نصوص واضحة إلى حد أنهم يجعلونها مشكوكاً فيها بدعوى تطهيرها من تحريفات موهومة، فكثرة النقد تؤدى إلى ازدياد خطر الإفراط، والمتحذلقون يقعون قطعاً فى الشك المفرط. ومن خواص الدراسات التاريخية والدراسات المساعدة لها وهى العلوم الفيلولوجية، أنها حينما تبلغ كمالها النسبى تبدأ فى تدمير نفسها بنفسها وسبب ذلك هو الإفراط فى النقد.(١٣١)

٢ــ المعرفة العلمية بالموضوع قبل البحث :

من الشروط الأساسية لنجاح عمل الباحث فى التاريخ الشفوى إحاطته العلمية بالموضوع قيد البحث؛ إذ ينبغى عليه أن يبذل جهداً كبيراً فى سبيل الاطلاع على مجموعة واسعة من المصادر المختلفة المتصلة ببحثه، بخاصة المكتوبة منها؛ كالسجلات الحكومية، وأرشيفات الصحافة، والمذكرات الشخصية .. إلخ، وذلك قبل البدء بالعمل الميداني؛ لأن هذه المعرفة تمثل قاعدة مهمة يستند إليها الباحث فى مراحل عمله الميدانى

فيما بعد، وبدونها يمكن أن تدب الفوضى فى أسئلته وفى الروايات الشفوية التى حصل عليها. فالمعرفة العلمية للباحث بموضوع بحثه الميدانى عملية مهمة جدا؛ لأن هذا الأمر يمكنه من امتلاك أدوات فاعلة يستطيع توظيفها بقوة فى إخراج دراسة عميقة ونزيهة وموضوعية. أضف إلى ذلك أن الرواية الشفوية لا يمكن أن تعطى صورة كاملة عن البحث(١٣٢)؛ ومن ثم ينبغى على الباحث أن يحيط بالحدث من مصادر أخرى حتى تكتمل الصورة أمامه، ويتمكن من تدوين عناصرها على نحو موضوعى.

٣ــ **النزاهة والموضوعية :**

ينبغى على الباحث أن يتمتع بدرجة من الموضوعية، يتحكم فيها بذاته ومشاعره وإحساسه وانفعالاته وانتماءاته، فالباحث الذى يتمتع بالأمانة الفكرية يستطيع أن يضغط على ميوله الكامنة حتى يحقق درجة عالية من عدم الانحياز(١٣٣)، انطلاقاً من أن خصوصية العلم تتطلب التجرد من الأهواء الذاتية، وعدم التهاون فى طلب الموضوعية(١٣٤). ولذلك ينبغى على الباحث أن يحذر من الوقوع فى براثن ما يسمى بـــ (عبء الدليل)؛ بمعنى أن يدفعه ميله الغريزى إلى الدفاع عن الراوى الذى قرر مصداقيته، وأكد درجة ثبوته(١٣٥). كما أن عليه أن يحذر من التنقيب فى روايات الشهود من أجل الحصول على مادة تدعم أحكاماً قد قررها مسبقاً(١٣٦)؛ بمعنى ألا يقدم الباحث على تكوين رأى مسبق فى الأحداث، ثم يحاول بعد ذلك أن يجمع الأدلة والبراهين على صحة هذا الرأي.(١٣٧) فلا شك فى أن هذا الاتجاه سيؤدى إلى الانزلاق فى الخطأ.

ولذا ينبغى على الباحث أن يكون موضوعيا أثناء محاوراته الرواة (١٣٨)، وأن يتجنب التأثير فى إجابتهم فلا يطرح عليهم أسئلة إيحائية(١٣٩)، قد

تؤثر فى مصداقية الرواية. وينبغى التأكد أن الموضوعية المطلقة غير ممكنة التحقق، فمن الطبيعى أن تتسرب أنواع الانحياز المختلفة إلى الموقف، ولكن الباحث بمهاراته يمكنه أن يحول دون ذلك. وقد اقترح بعض الباحثين عدداً من العوامل التى قد تساعد على خفض سقف الانحياز لدى الباحث فى التاريخ الشفوى، هى خضوع الباحث لبرامج تدريب معمقة، وصياغة الأسئلة بعناية[١٤١]، حتى تشكل صياغتها بطريقة مثلى، سياجاً يحول دون تسرب الإيحاءات والنزعات والنزوات والأهواء والميول إلى مضمونها.

لقد قرر الباحثون أن الموضوعية المطلقة غير ممكنة التحقيق؛ ذلك أن المؤرخ إنسان له آراء وأفكار وانتماءات وعواطف ومشاعر، وكل هذا يلح عليه، ولا يستطيع التخلص منه نهائيا. فقضية الموضوعية قضية جدلية على مر العصور، ولا يمكن حسمها على نحو نهائى بالنسبة للمؤرخ، ولذلك سيظل الباب مفتوحاً دائماً لقبول النقد والجرح والتعديل، وصولاً إلى الهدف الأسمى ألا وهو تحقيق الموضوعية ولو نسبياً[١٤٠] . فالتجرد الذى تتطلبه الكتابة التاريخية، لا يعنى التخلص من كل شعور أو فكر أو معتقد. فما من شخص يستطيع ذلك عمليا، وإنما التجرد فى دراسة التاريخ معناه أن يتمكن المؤرخ بدقته وبصيرته، من أن ينفذ إلى أعماق الرواة، فيحس بأحاسيسهم، ويختبر ميولهم ورغباتهم وآمالهم وأمانيهم، والظروف التى كانت تحيط بهم، وتأثرهم بهذه الظروف وتأثيرهم فيها. والباحث سيجد فى هذا كله ما يحب وما يكره، وما يقر وما ينكر، وما يرضى عنه وما يرفضه، وواجبه أن يسعى دائماً إلى إثبات هذا وذاك فى معزل عن مشاعره وعواطفه[١٤٢]. ومن ثم فإن المعرفة التاريخية تعد قائمة على التصورات المحصورة داخل نطاق

العقل البشرى (المعرفة الذاتية)، والذاتية تعنى البناء على عوامل شخصية. ولذا فإن الحيادية والموضوعية يصعب التوصل إليهما فى مثل هذه الحقائق. ومن هنا فإن الاستنتاجات المبنية عليهما يمكن أن تكون عرضة للمناقشات والنقد(١٤٣).

٤ــ القدرة على جمع البيانات ذات الصلة :

إن جمع الروايات الشفوية حول موضوع معين ليس بالأمر الهين؛ إذ إنه يتطلب باحثاً محنكاً ومدرباً تدريباً جيدا فى مجال الدراسات الميدانية، كما أن هذا الأمر يحتاج إلى مهارات مهنية ومواصفات شخصية واجتماعية محددة فى الباحث. فالباحث الناجح فى ميدان التاريخ الشفوى هو ذلك الذى يمتلك المقدرة على كسب ود الرواة وثقاتهم، وهذا لا يتأتى له إلا إذا أتقن ملكة الإصغاء والقدرة على إظهار التفهم لوجهات نظر الرواة وهمومهم والإحساس بمشاكلهم؛ أى القدرة على تحمل الأبعاد السلوكية المختلفة للرواة. ففى حين يسعى الباحث إلى توثيق الوقائع والأحداث بدقة وأمانة يميل الرواة إلى التركيز على الجوانب الشخصية والشعورية(١٤٤). ولذا ينبغى على الباحث أن يراعى هذا الجانب لدى الرواة، وفى ذات الوقت عليه أن يحفز نفسه للبحث عن الحقيقة بلباقة .

إن تسجيل التاريخ الشفوى يعد امتحاناً للرواة بوصفهم مؤرخين . فعلماء الاجتماع الوضعيون يضعون فى حسبانهم قدرة الإنسان الفريدة على ترجمة خبراته الذاتية لنفسه، فالإنسان يستطيع أن يبنى نظرياته عن نفسه وعن عالمه(١٤٥)، وهو يميل إلى أن يكون هو الشخص الذى تشكله لغته وتقاليده ومعرفته الضمنية والصريحة(١٤٦). وهذا الأمر فى حد ذاته يشكل فى المقابل امتحانا للباحث فى التاريخ الشفوى، لبيان مدى مقدرته على التعامل مع ذكريات الرواة بأمانة، وكسب ودهم ومحبتهم التى بدونها لن يجشموا أنفسهم

عناء الاستنكار. وهناك نقطة أخرى مهمة فى هذا الصدد ينبغى أن يأخذ بها الباحث فى التاريخ الشفوى لأهميتها فى عملية جمع البيانات ألا وهى ضرورة استقصاء مصادر بحثه إلى أبعد حد ممكن، فلا يزدرى أيا من الرواة ويهمله؛ لأن أضعفهم لدى النظرة الأولى، قد يصبح بعد التحقيق أشدهم خطورة وأغناهم بالمعلومات(١٤٧). كذلك ينبغى على الباحث فى التاريخ الشفوى كى يحصل على البيانات المطلوبة أن يتذكر أنه قدم إلى المقابلة ليتعلم من الراوى لا ليعلمه، بغض النظر عن مستواه الثقافى والاجتماعى، ولذلك يحسن بالباحث أن يصغى جيداً للراوى، وأن يركز اهتمامه عليه، فلا يصر على قيادة الموقف، بل يترك للراوى حرية الحديث، فلا يعمد إلى قطع حديثه بأسئلة تمنع تواصل أفكاره، ويحسن بالباحث أيضاً ألا يجعل أكبر همه جمع أكبر كم من المعلومات، وألا يصر على الإحاطة بجميع الموضوعات التى أعدها مسبقاً(١٤٨).

وهناك نقطة أخرى مهمة يحسن بالباحث فى التاريخ الشفوى أن يأخذ بها عند جمع البيانات ألا وهى ضرورة قيامه بإجراء مقابلة تمهيدية بهدف اختبار معلومات الراوى وقدراته، فالمقابلة التمهيدية تعد مناسبة لاستكشاف موضوعية الراوى وقوة ذاكرته. وهى مهمة أيضاً من حيث إنها تعرف الباحث بالراوى، وتخلق بينهما نوعاً من الألفة والثقة، وتساعده على تعديل أسئلته على نحو يتناسب مع شخصية الراوى، كما أن المقابلة التمهيدية تعرف الراوى بأهداف البحث، وتتيح له الفرصة لتنظيم أفكاره(١٤٩).

إن لمهارات الباحث فى التاريخ الشفوى دوراً رئيسيا فى عملية جمع الروايات الشفوية، فالباحث المؤهل والخبير والمتدرب أقدر على الاقتراب من الرواة وإحراز ثقتهم بطريقة لا تترك انطباعاً لديهم بأنهم متهمين يتم التحقيق

معهم(١٥٠)، وهو أقدر أيضاً على الاقتراب من خزانة ذكرياتهم والاطلاع على ما فيها من صور وسجلات ووثائق.

٥ــ مقارنة الروايات الشفوية بالسجلات المكتوبة :

إن الشواهد الشفهية، وإن كانت حقيقة، فإنها حتماً ستظل غير كافية لتمثل الماضي؛ لأن الحقيقة التاريخية تشمل أشياء أكثر من مجموعة التجارب الفردية(١٥١). ولذلك ينبغي على الباحث في التاريخ الشفوى ألا يأخذ الروايات الشفوية على أنها مسلمات، لكون مصدرها شهود عايشوا الحدث أو شاركوا فيه؛ وإنما يجب عليه أن يقارن تلك الروايات بالمصادر المكتوبة المتوافرة؛ من أجل تحرى الدقة . فمقارنة الروايات التاريخية تعد عملية منهجية مطلوبة في الدراسات التاريخية، بوصفها تؤدى إلى إجراء موازنات بين الروايات، ومن ثم تؤدى إلى ترجيح بعضها طبقاً لشروط معينة؛ أهمها ما يتعلق بدراسة حياة الرواة من جميع جوانبها، وما يتعلق بمنطقية البيانات وموضوعيتها .

ولعل أهم المصادر المدونة التي يكون في إمكان الباحث في التاريخ الشفوى أن يلجأ إليها كي يطمئن إلى الروايات الشفوية المتوافرة بين يديه : الرسائل الشخصية التي تعد مصدراً مهما إذا كانت تلقائية وخالصة، بخاصة أنها تكشف بطريقة أو بأخرى ملاحظات كثيرة حول الشخصية والمعتقدات(١٥٢). على أن بعض الباحثين يضع الرسائل الشخصية في مرتبة أدنى، بوصفها شاهداً تاريخيا مقارنة بالوثائق الأصلية الأخرى، نظراً لعدم سريتها(١٥٣).

كما يمكن لباحث أن يطلع على التقارير السرية التي تعد في بعض الأحيان مصدرا عظيم الثقة، لكونها كتبت لأغراض سرية بُعيد وقوع الحوادث، كما أنها عادة لا تكتب بغية إطلاع عدد كبير من الناس عليها،

إضافة إلى أن كثيراً من هذه التقارير يكتبها خبراء، ومن ثم فإن محتوياتها تكون غالباً ذات معلومات عالية الدقة ومجردة من الزخرف(١٥٤).

وينبغى على الباحث أن يرجع إلى الوثائق الحكومية، وهى وثائق أصلية تحوى معلومات أساسية، وتتضمن بيانات إحصائية لا تتوافر عادة فى المصادر الأخرى(١٥٥). وتعد الوثائق الحكومية على درجة كبيرة من الأهمية، خصوصاً فيما يتعلق بالإحصاءات، فالرواة مهما بلغت درجة معاصرتهم للحدث ومشاركتهم فيه لا يمكنهم إعطاء إحصاءات دقيقة عن بعض البيانات المتصلة بالحدث التاريخى موضوع البحث .

ومن الأهمية أن يرجع الباحث فى التاريخ الشفوى إلى المصادر الصحفية؛ فالصحافة بالنسبة للمؤرخ الشفوى أهم مصدر أولى منشور، فهى تقدم تقارير متسلسلة تعرض البيانات بطريقة غير رسمية(١٥٦)، كما أن المصدر الصحفى جدير بالثقة، بخاصة إذا كان الصحفى ذاته شاهد الحادثة التى يصفها (١٥٧)، فالمعلومات الواردة فى المصدر الصحفى دونت فى الفترة الممتدة بين وقوع الحدث وتسجيله، وهى فترة قصيرة فى العادة(١٥٨).

على أنه يحسن بالباحث فى التاريخ الشفوى أن ينتبه إلى حقيقة تتصل بهذا الجانب ألا وهى أن خصوصية النشر لا تضفى حكماً حاسماً وحديا على صحة البيانات، فأحياناً تحوى التقارير الصحفية ما يناسب الاستهلاك العام، أو ما كانت الحكومات مستعدة للكشف عنه حينذاك، وما ظن رؤساء تحرير الصحف بأنه سيرضى جمهور القراء .

بالطبع فإن مثل هذه العوامل تؤدى إلى تحريف الحقائق . ومن ثم ينبغى على المؤرخ الشفوى أن يذهب إلى ما وراء الكلمة المنشورة(١٥٩). كما ينبغى على المؤرخ أن ينتبه إلى حقيقة أخرى فيما يتصل بالمصدر الصحفى ألا وهى أن مراسلى الصحف يعدون تقارير سريعة تجاوباً مع طبيعة عملهم التى

تتطلب تغطية أحداث الساعة بالسرعة الممكنة. ومن ثم فإن تقاريرهم يشوبها أحياناً الإهمال فى درجة التحرى والتثبت(١٦٠).

وتعد المذكرات الشخصية واليوميات والسير الشخصية سجلات تاريخية متميزة ومتفرقة بالنسبة للباحث فى التاريخ الشفوى، فهو ينفذ من خلالها إلى الحقائق المتعلقة بحياة شخص بارز له صلة بالحديث موضوع الدراسة، قام بتدوين أفكاره ومواقفه ومعتقداته حول حادث معين عاصره أو شارك فيه ضمن مذكرات خاصة به، حالت الظروف السائدة حينذاك دون حرية الإفصاح عنها أو نشرها(١٦١). وتعد المذكرات الشخصية ذات فائدة أكثر عمقاً من المصادر الأخرى؛ لأن كاتبها لم يفكر فى نشرها أثناء إعدادها(١٦٢). ولذلك فإن المذكرات واليوميات كونها تلقائية وخالصة فإنها تأتى فى مرتبة عالية، بوصفها وثيقة تاريخية(١٦٣)، كما أنها تعد طابعها سريا، وأصحابها لم يقصدوا حين تدوينها التأثير فى الأخرين(١٦٤)، كما أنهم سجلوا قراراتهم ومناقشاتهم وأفكارهم بدون انتباه إلى عيون مؤرخى المستقبل(١٦٥).

وتتسم المذكرات الشخصية واليوميات كذلك بالسرد التاريخى للأحداث وفق تسلسها الزمنى. وفوق هذا فإن المذكرات الشخصية تزود المؤرخ بالتقارير الأولية المباشرة التى تختفى فى السجلات الحكومية المغلقة أمام الباحثين(١٦٦). ولذلك فإن المذكرات الشخصية تعد مصدراً كتب بدون أى تفكير فى الأجيال القادمة، وهذا ما سماه بلوك بـ "دليل شهود العيان على الرغم من أنفسهم"(١٦٧).

قد يضطر الباحث فى التاريخ الشفوى – فى حالات معينة – إلى إجراء بحوث تعرف باسم بحوث استعادة الأحداث الماضية (البحوث الاسترجاعية) Export Facto Research، وهى تبحث فى علاقة السببية (العلة والمعلول) Cause and Effect، عن طريقة ملاحظة حالة قائمة، والبحث فى ماضى

الزمان عن عوامل مقبولة تسببت فى حدوثها. ولذلك تعد بحوث استرجاع الماضى إحدى الطرق لاختبار أسباب سابقة لأحداث وقعت. فإذا استدعى باحث لدراسة حادث وقع، فإنه لن يستطيع استعادة الماضى، وكل ما يستطيع أن يفعله، هو محاولة إعادة تصور ما حدث، وفحص الأماكن التى وقع فيها الحدث، إضافة إلى استقصاء البيانات التى يتفوه بها شهود العيان. وبهذه الطريقة يمكن للباحث أن يتعرف المسببات الممكنة للحدث.

ومن هنا فإن بحوث استعادة الماضى تعنى البحث فى آثار حدث وقع طبيعيا فى الماضى على ناتج لاحق بنظرة تبحث عن بناء ارتباط سببى بينهما(١٦٨). وهذه الطريقة تشير إلى أن البيانات التى تم جمعها بعد وقوع الحدث تعد أثراً ينبغى فحصه استرجاعيا، لاكتشاف الأسباب والعلاقات والارتباطات ومعانيها(١٦٩).

وهكذا فإن الباحث فى التاريخ الشفوى يلزمه بذل جهد كبير فى سبيل تقييم بياناته، وذلك من خلال مقارنتها بالسجلات المكتوبة المتوافرة؛ فالمقارنات من شأنها أن تكشف الحقائق الواقعية، أو تلك التى تكون قاب قوسين أو أدنى منها. ومن ثم فإن الاطلاع على مجموعة منوعة وواسعة من المصادر يعد سمة من السمات المميزة للبحث التاريخى(١٧٠).

إن عملية اختيار الرواة وتقييمهم تعد قضية محورية فى منهجية البحث فى التاريخ الشفوى، على أساس أن الرواة يشكلون المادة المصدرية الأولية فى المعرفة التاريخية المبنية على الثقافة الشفهية. ومن ثم فإن عملية اختيار الرواة وتقييمهم فى التاريخ الشفوى ينبغى أن تحظى بجانب مهم لدى الباحث فى ميدان التاريخ الشفوى؛ إذ إن البناء التاريخى لموضوع البحث يرتكز بصورة أساسية على تصريحات الرواة.

إن الخوض فى ميدان اختيار الرواة ونقدهم وتقييمهم لا يأتى لكل من طرق بابه، فهو يمثل عملية مضنية شاقة، وتتطلب نوعاً من الباحثين المتميزين ممن يمتلكون المعرفة والبصيرة الثاقبة، وصفات أخرى كالصبر والتحمل. ولذلك فإن مسألة التدريب والتأهيل أصبحت ضرورية جداً لأولئك الذين أخذوا على عاتقهم دخول معترك التاريخ الشفوى.

إن اختيار الرواة ونقدهم وتقييمهم تعد عملية شائكة ومتشابكة تستدعى من الباحث فى التاريخ الشفوى أن يطرق أكثر من جانب فى سبيل الانتهاء إلى قدر معقول من الطمأنينة حول الروايات الشفوية المتصلة بموضوع بحثه. فعليه ابتداءً أن يضع معايير تتناسب مع الدراسات التاريخية الميدانية بخصوص تحديد حجم عينة المجتمع الذى يتطلع الباحث إلى دراسته. وبطبيعة الحال فإن معايير تحديد حجم العينة فى التاريخ الشفوى ترتبط بمواصفات خاصة، يكاد ينفرد بها ميدان البحث فى التاريخ الشفوى؛ إذ إن تقرير حجم العينة فى التاريخ الشفوى تتحدد طبقاً لعوامل عدة، معظمها يرتبط بظروف الحدث والرواة أكثر من ارتباطه بقرارات الباحث والمحددات العلمية المعتمدة فى الدراسات الميدانية الأخرى (الدراسات التربوية والاجتماعية)؛ إذ لا يوجد فى التاريخ الشفوى معيار أو ضابط معين يمكن أن يحدد حجم عينة الدراسة، بل إن أمر ذلك متروك لمعطيات الميدان، وإفرازات الفئة المستهدفة، وطبيعة مواقفها، وملامح مواصفاتها بالنسبة للحدث، وللمظاهر التى تتحكم فى أبعاد شخصيات الفئة المستهدفة.

أما فيما يتعلق باختيار رواة الأحداث، فهو أمر بالغ التعقيد؛ إذ إن عامل وفرة الرواة وشهود العيان لا يخفض من سقف مشاق مهمة الباحث فى التاريخ الشفوى، فكثرة الشهود لا تمثل للباحث فى التاريخ الشفوى إشارات على توافر الروايات الشفوية الحقيقية؛ لأن الهدف ليس تحصيل كم من المعلومات

والبيانات، بقدر ما هو مرتبط بتحصيل روايات تاريخية منطقية وموضوعية تعكس واقع الحدث التاريخي، وتفسر جوانبه المختلفة. ولذا، فإن الباحث الجاد في ميدان التاريخ الشفوى سيجد أمامه طريقاً طويلاً جدا مليئا بالمحطات التى ينبغى أن يتوقف عندها بتمعن، كى يصل فى نهاية المشوار، وقد حمل فى جعبته مجموعة من الروايات الشفوية المحكمة علميا.

أما عن عملية نقد الرواة وتقييمهم فهى عملية ترتبط بعنصرين: الأول؛ عنصر الرواة أنفسهم، والأخر؛ عنصر الباحث التاريخى. فالرواة يقيّمون من خلال تقديمهم إلى محكمة النقد الظاهرى والباطنى التى يديرها الباحث التاريخى، بهدف الوقوف على مدى مصداقية الشهادات التى أدلوا بها، من خلال تجريدها من أهواء أصحابها وانتماءاتهم ونزعاتهم، وتقديمها على نحو أكثر نقاءً إلى ميدان المعرفة، لتنضوى مادتها العلمية وما ترشّح عنه من تفسيرات مختلفة ضمن صفحات التاريخ. أما الباحث فى ميدان التاريخ الشفوى فلا يقل دوره – بحال من الأحوال – عن الرواة أنفسهم فى تصميم المعايير التى تستند إليها مصداقية الروايات التاريخية الشفوية. فلدى الباحث فى التاريخ الشفوى قدرة عالية على توجيه الروايات الشفوية وتحديد مساراتها وتشكيل ملامحها، فهو بمثابة قائد المعركة. فإن كان يمتلك مهارات وكفايات القيادة، وارتفع فى سبيل الهدف الأسمى فوق مقتضياته الذاتية، فإنه لا محالة سيقفل بثمرات النصر الحقيقى، وإن كان غير ذلك فإنها الهزيمة المحققة التى تحمل فى جنباتها صوراً عدة، ولكنها مشوهة، غير مسئولة، ولا تمت إلى الواقع بصلة.

الهوامش

١ – انظر: يحيى، عادل : التاريخ الشفوى، منهج وتقنيات البحث، فى كتاب: من يصنع التاريخ، التاريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤م، ص ١٠.

٢ – كولنجوود : فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٦٤.

3 – Vancsina, J. Oral Tradition as History, Madison, The University of Wisconson press, 1985, p.5.

٤ – يقول الباحث عادل يحيى فى معرض رده على المؤرخين المتمسكين بفكرة أن التاريخ الشفوى هو عمليات تجرى على الأحياء بأن الحاضر هو الماضى فى العمل، ولا شيء يمنع من دراسته، خاصة أنه جاهز للاختبار، ثم إن كل حدث حاضر مرتبط بالماضى بطريقة من الطرق، فهو لم يبدأ الآن فقط، وتأثيره سيمتد إلى المستقبل، فما الذى يمنع من معالجته حالاً؟ يحيى،عادل : مرجع سابق، ص ص ١٠-١١.

٥ – انظر : المرجع نفسه، ص ١٠.

٦ – انظر : ريكس، توماس : "التاريخ الشفوى والقضية الفلسطينية"، فى كتاب: من يصنع التاريخ : التاريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤م، ص ١٠٣-١٠٤.

٧ – انظر: موافى، عثمان : منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٧٦م، ص ٤٥.

٨ – سينوبوس لا نجلو: " المدخل إلى الدراسات التاريخية"، فى كتاب : النقد التاريخى، ترجمة: عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ٧٨ .

٩ – تعد المعرفة فى المجتمعات الشفاهية صعبة المنال وثمينة، ولذلك فإن تلك المجتمعات تقدر تقديرا عاليا حكماءها الكبار من الرجال والنساء الذين تناط بهم مهمة الحفظ، والذين يستطيعون أن يحكوا قصص الأيام الخوالى.

أونج، والتر: الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١٨٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، فبراير/شباط، ١٩٩٤م، ص ص ١٠٣-١٠٤ .

١٠ – ريكس: "التاريخ الشفوى، ص ٨٣.

١١ – يحيى : التاريخ الشفوى، ص٨.

١٢ – المرجع نفسه، ص١٢.

١٣ – المرجع نفسه، ص١٠.

14 - see : Henige, D. Oral Historiography, Longman press, London, 1982, p 73 .

١٥ – يحيى : التاريخ الشفوى، ص١١ .

١٦ – كوهين، لويس: ومانيون، لورانس: مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية والتربوية،ط ١، ترجمة : حسين كوجك ووليم تاوضروس عبيد، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٠م، ص ١٣٢ .

١٧ – المرجع نفسه، ص١٣٢.

١٨ – الأغا، إحسان خليل، و حسين، محمود: مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ط٢، د. ن، ٢٠٠٠ م، ص١٠٠.

١٩ – أنظر: المرجع نفسه، ص ٨٨٨ .

٢٠ – انظر : الأغا : مقدمة فى تصميم البحث العلمى التربوى،ص ص١٠١ -١٠٢ .

٢١ – انظر: يحيى : التاريخ الشفوى، ص ٢٨ .

٢٢ – انظر: المرجع نفسه، ص ٣٠ .

٢٣ – انظر كوهين: مناهج البحث، ص ١٢٧ .

٢٤ – انظر : الأغا : مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ص٩٧ .

٢٥ – انظر : الشريف، عبد الله محمد: مناهج البحث العلمى، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، ١٩٩٦ م، ص١١٦ .

٢٦ – كوهين :مناهج البحث، ص١٣١.

٢٧ – المرجع السابق، ص١٧٩ .

٢٨ – انظر جوتشلك، لويس: كيف نفهم التاريخ ؛ مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخى، ترجمة : عائدة سليمان وأحمد مصطفى أبو حاكمة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك، ١٩٦٦ م، ص ١٩٨ .

٢٩ – أنظر: عبد الجليل،الزوبعي، والغنام، محمد أحمد : مناهج البحث فى التربية، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٤ م، ص ص١٧٥–١٧٦ .

٣٠ – انظر : الشريف : مناهج البحث العلمى، مراجع سابق،ص١١٤–١١٥؛ وانظر : كوهين : ص ص١٣٠ – ١٣١ .

٣١ – كوهين : مناهج البحث، ص ١٣٢ .

٣٢ – انظر : الشريف : مناهج البحث العلمى، ص ١١٧.

٣٣ – انظر : المرجع نفسه، ص ١١٢، كوهين : مناهج البحث، ص ١٢٨.

٣٤ – انظر : الأغا : مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ص ٨٩؛ الشريف: مناهج البحث العلمى ص ١١٣.

٣٥ – انظر : كوهين : مناهج البحث ص ٩٨.

٣٦ – انظر : المرجع نفسه، ص ص ٧٨–٧٩.

٣٧ – انظر : العاوور، صلاح حسن : مناهج البحث التاريخى، ط١، مكتبة إيهاب، رفح، ١٩٩٧ م، ص ٣٥١ .

٣٨ – انظر : كوهين : مناهج البحث، ص ١٣١.

٣٩ – انظر : يحيى : التاريخ الشفوى، ص ٢٧.

٤٠ – انظر : الأغا : مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ص ١٠٤.

٤١ – انظر : يحيى : التاريخ الشفوى، ص 27 ؛ الأغا، مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ص ١٠٤.

٤٢ – انظر : الأغا : مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ص ١٠٤.

٤٣ – انظر : يحيى : التاريخ الشفوي؛ ص ٢٧؛ العاوور : مناهج البحث العلمى، ص ٣٥١.

٤٤ – كوهين : مناهج البحث، ص ٨٢.

٤٥ – ربيع، حسنين محمد: محاضرات فى علم التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٩.

٤٦ – المرجع نفسه، ص ص ٦٢-٦٣.

٤٧ – كوهين : مناهج البحث، ص ٨١؛ الجمل، شوقى : علم التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٤٠.

٤٨ – عمر، محمد زيان : دراسات تاريخية، دار الشروق، جدة، ١٩٧٩ م، ص ٣٧.

٤٩ – كوهين : مناهج البحث، ص ٨١.

٥٠ – انظر : عمر : دراسات تاريخية، ص ٣٧.

٥١ – انظر : كوهين : مناهج البحث، ص ٨٠.

٥٢ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ٦١.

٥٣ – انظر : المرجع نفسه : ص ٦٥ .

٥٤ – انظر: إبن عبد العزيز، رجب بن إبراهيم: دراسات فى السنة النبوية ومناهج المحدثين، ط ١، دار الرسالة للتراث، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ٩١؛ موافى : منهج النقد التاريخى، ص ٩٦.

٥٥ – أنظر: ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ص ٦٢–٦٣.

٥٦ – أنظر: موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٠٨؛ ابن عبد العزيز : دراسات فى السنة النبوية ومناهج المحدثين، ص ٩٠.

٥٧ – الجمل : علم التاريخ، ص 148، وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص 122 .

٥٨ – ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ٩٠.

59- see: Philip Abrams : Historical Sociology. open book, 82.p. 313

– توش، جون : المنهج فى دراسة التاريخ، ترجمة : ميلاد المقرحى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ط١، ١٩٩٤ م ص ٣٠٧–٣٠٨ .

60 - see : G. V. Wedg Wood : The King's Peace 1637-1641, Collins,1955, p.16.

توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ١٨١.

٦١ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص١٤١ .

٦٢ – انظر : وافى، محمد عبد الكريم : منهج البحث فى التاريخ والتدوين التاريخى عند العرب، منشورات جامعة، قاريونس، بنغازى، ط١، ١٩٩٠م ص ١٣٩؛ موافى : منهج النقد التاريخى، ١٤١؛

رستم، أسند: مصطلح التاريخ، ط ٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٥٥ م، ص ٦١ .

الجمل : علم التاريخ، ص ١٤٩، وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ١٢٩.

٦٣ – انظر: الجمل : علم التاريخ، ص ١٤٩ .

٦٤ – انظر : وافى : منهج البحث فى التاريخ والتدوين التاريخى عند العرب، ص ١٣٩؛ موافى : منهج النقد التاريخى، ص 141، رستم : مصطلح التاريخ ص 62؛ الجمل : علم التاريخ، ص ١٤٩، جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١٨١ .

٦٥ – انظر : الجمل : علم التاريخ، ص ١٤٩؛ وافى : منهج البحث فى التاريخ، ص ص ١٣٩–١٤٠.

٦٦ – انظر : رستم : مصطلح التاريخ، ص 63 .

٧٦ – انظر : أونج : الشفاهية والكتابية، ص 105 .

٨٦ – انظر : جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص 186 .

٦٩ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤١ ؛ رستم : مصطلح التاريخ ص ٦٣؛ وافى : منهج البحث فى التاريخ، ص ١٤٠. سينوبوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ١٣١.

٧٠ – انظر : صبيحى، أحمد محمود: فى فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قار يونس، بنغازى، ١٩٨٩ م، ص ص ١١٢–١١٣ .

٧١ – انظر : جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١٨٦.

٧٢ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤١؛ رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٤، سينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ١٤٥.

٧٣ – انظر : أونج : الشفاهية والكتابية، ص ١٠٣ .

٧٤ – انظر : جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١٨٣ .

٧٥ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤١؛ كوهين : مناهج البحث، ص ٨٢، رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٢؛ الجمل : علم التاريخ، ص ١٤٨ .

٧٦ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ص ١٣٥-١٣٦ .

٧٧ – انظر : رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٥؛ موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٣٦ .

٧٨ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤٢ .

٧٩ – انظر : وافى : منهج البحث فى التاريخ، ص ١٤١ .

٨٠ – انظر : رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٦؛ موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤٢ .

٨١ – انظر : وافى : منهج البحث فى التاريخ، ص ١٤١ .

٨٢ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٣٨ .

٨٣ – انظر : يحيى : التاريخ الشفوى، ص ٣٤ .

٨٤ – انظر : رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٧ .

٨٥ – انظر : جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ص ١٨٧-١٨٩ .

٨٦ – انظر : المرجع نفسه، ص ص ١٨٧-١٨٩.

٨٧ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٣٩ .

٨٨ – انظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٣٠٣ . وانظر موافى : منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى، ص ١٣٧ .

٨٩ – انظر : يحيى : التاريخ الشفوى، ص ١٣٧ .

٩٠ – انظر : جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ٥٦.

٩١ – انظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ١٤٤ .

٩٢ – انظر : المرجع نفسه، ص ١٤٥ .

٩٣ – انظر : بدوى : النقد التاريخى، مقدمة الكتاب، ص. ب .

٩٤ – انظر : موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٣٧؛ كوهين : مناهج البحث، ص ٨٢ .

95 - See : Richard Cobb : A Second Identity, Oxford University press , 1969, p. 74 .

انظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ ، ص ٢١٥ .

٩٦ – انظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٢١٤ .

٩٧ – انظر : كوهين : مناهج البحث، ص ٢٠ .

٩٨ – انظر : المرجع نفسه، ص ٢٤ .

٩٩ – انظر : المرجع نفسه، ص ٢٠.

١٠٠– انظر : نفسه .

١٠١– انظر : المرجع نفسه، ص ص ٢٠–٢١ .

١٠٢– انظر : إبراهيم ؛ محمود : "التاريخ الشفوى يتحدى المؤرخين"، فى كتاب : من يصنع التاريخ ... التأريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤ م، ص ١٠٥ .

١٠٣– انظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ١٣١ .

١٠٤– كوهين : مناهج البحث، ص ٥٨ .

١٠٥– المرجع نفسه، ص ص ١٥٨–١٥٩ .

١٠٦– العاوور : مناهج البحث التاريخى، ص ص ٣٥٢–٣٥٣ .

١٠٧– ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ١٠٤ .

١٠٨– المرجع نفسه : ص ١٠٤ .

١٠٩– كوهين : مناهج البحث، ص ٣٢ .

١١٠– رستم : مصطلح التاريخ، ص ٦٦. عمر : دراسات تاريخية، ص ٩٤. كوهين : مناهج البحث، ص ٨٢ .

١١١– كوهين : مناهج البحث، ص ٨٢ .

١١٢– ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ١٠٤ .

١١٣- المرجع نفسه : ص ص ١٠٣-١٠٤ .

١١٤- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١٧٦ .

١١٥- المرجع نفسه: ص ١٧٦.

١١٦- الشريف : مناهج البحث العلمى، ص ١١٨.

١١٧- المرجع نفسه، ص ص ١١٨-١١٩ .

١١٨- كوهين : مناهج البحث، ص ١٥٤. الشريف : مناهج البحث العلمى، ص ١١٩ .

١١٩- الشريف : مناهج البحث العلمى، ص ١٢٠. كوهين : مناهج البحث، ص ١٥٥ .

١٢٠- كوهين : مناهج البحث، ص ١٥٤ .

١٢١- المرجع نفسه، ص ص ١٥٨-١٥٩ .

١٢٢- موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤٥ .

١٢٣- البرغوثى، عبد اللطيف : مناهج التأريخ قبل الإسلام وبعده، مؤتمر التأريخ الإسلامى وأزمة الهوية، طرابلس الغرب، شباط / فبراير ٢٠٠٠ م .

١٢٤- ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ١٠٣.

١٢٥- المرجع نفسه، ص ٩٠.

١٢٦- المرجع نفسه، ص ١٠٣.

١٢٧- موافى : منهج النقد التاريخى، ص ١٤٧.

١٢٨- المرجع نفسه : ص ص ١٤٧-١٤٩.

١٢٩- الجمل : علم التاريخ : ص ١٤٥.

١٣٠- المرجع نفسه : ص ١٤٨.

١٣١- وسينوبوس:المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ص ١٠٠-١٠١.

١٣٢- يحيى : التاريخ الشفوى، ص ٣٢.

١٣٣- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ٢١.

١٣٤- صبيحى : فى فلسفة التاريخ، ص ٩٣.

١٣٥- وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص ١٢٣.

١٣٦- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٢١٨.

١٣٧- الجمل : علم التاريخ، ص ٩٩.

١٣٨- العاوور : مناهج البحث التاريخى، ص ٣٦٠.

وانظر : يحيى : التاريخ الشفوى، ص ٤٧.

139- Oral History Evaluation, op. cit. p.13

١٤٠- كوهين : مناهج البحث، ص ٣٥٣.

١٤١- النبراوى : فتحية عبد الفتاح : علم التاريخ، دراسة فى مناهج البحث، ط٢، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٦.

١٤٢- ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، مرجع سابق، ص ٩٢.

١٤٣- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٧. وانظر : كوهين، ص ٤٥.

١٤٤- العاوور : مناهج البحث التاريخى، ص ص ٣٥٥-٣٥٦.

١٤٥- كوهين : مناهج البحث، ص ٤٧.

١٤٦- المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

١٤٧- ربيع : محاضرات فى علم التاريخ، ص ١٠٠.

١٤٨ - يحيى : التاريخ الشفوى ص ص ٤٨-٤٩.

See : Oral History Evaluation, op . cit. p. 8.

وانظر : العاوور : مناهج البحث العلمى، ص ٣٦١.

١٤٩- العاوور : مناهج البحث التاريخى، ص ٣٥٦.

١٥٠- المرجع نفسه، ص ٣٦٠.

١٥١- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ص ٣٠٧-٣٠٨.

١٥٢- المرجع نفسه، ص ٨٧.

١٥٣- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١١٦.

١٥٤- المرجع نفسه، ص ص ١١٠-١١٤.

١٥٥- المرجع نفسه، ص ١٢٦.

١٥٦- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ص ٧٧-٧٨.

١٥٧- عمر : دراسات تاريخية، ص ٩٥.

١٥٨- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١١٧.

١٥٩- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٧٩.

١٦٠- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١١٧.

١٦١- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٧٥.

١٦٢- عمر : دراسات تاريخية، ص ٩٣.

١٦٣- جوتشلك : كيف نفهم التاريخ، ص ١١٥.

١٦٤- المرجع نفسه، ص ١١٣.

١٦٥- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٧٩.

١٦٦- المرجع نفسه، ص ٧٩.

167- See: Marc Bloch: The Historian's Crafrt, Manchester University press, 1954,p.61.

وانظر : توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ص ٧٢-٧٣.

١٦٨ - كوهين : مناهج البحث، ص ٢٠٦.

١٦٩- المرجع نفسه : ص ٢٠٩.

١٧٠- توش : المنهج فى دراسة التاريخ، ص ٣٠٩.

مراجع البحث :

١- إبراهيم، محمود : "التاريخ الشفوى يتحدى المؤرخين"، فى كتاب : من يصنع التاريخ، التأريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤م.

٢- ابن عبد العزيز، رجب بن إبراهيم: دراسات فى السنة النبوية ومناهج المحدثين، ط١، دار الرسالة للتراث، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣- الآغا، إحسان خليل، والأستاذ، محمود حسين : مقدمة فى تصميم البحث التربوى، ط٢، د.ن، ٢٠٠٠م.

٤- أونج، والترج : الشفاهية والكتابة، ترجمة حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة رقم (١٨٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير/شباط، ١٩٩٤م.

٥- البرغوثى، عبد اللطيف، مناهج التأريخ قبل الإسلام وبعده، مؤتمر التأريخ الإسلامى وأزمة الهوية، طرابلس الغرب، شباط/فبراير ٢٠٠٠م.

٦- توش، جون : المنهج فى دراسة التاريخ، ط١، ترجمة: ميلاد المقرحى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ١٩٩٤م.

٧- الجمل، شوقى: علم التاريخ، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م.

٨- جوتشلك، لويس: كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخى، ترجمة: عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٦م.

٩- ربيع، حسنين محمد : محاضرات فى علم التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٠ – رستم، أسد مصطلح التاريخ، ط٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٥٥م.

١١– ريسك، توماس: "التأريخ الشفوى والقضية الفلسطينية"، فى كتاب : من يصنع التاريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤م.

١٢– الزوبعى، عبد الجليل، والغنام، محمد أحمد: مناهج البحث فى التربية، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٤م.

١٣– الشريف، عبد الله محمد : مناهج البحث العلمى، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية ١٩٩٦م.

١٤– صبيحى، أحمد محمود: فى فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ١٩٨٩م.

١٥– العاوور، صلاح حسن : مناهج البحث التاريخى، ط١، مكتبة إيهاب، رفح، ١٩٩٧م.

١٦– العاوور، صلاح حسن : مبادئ كتابة البحث العلمى، مكتبة إيهاب، رفح، ١٩٩٠م.

١٧– عمر، محمد زيان: دراسات تاريخية، دار الشروق، جدة، ١٩٧٩م.

١٨– كولنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة : محمد بكير خليل، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.

١٩– كوهين، لويس، ومانيوس، لورانس : مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية والتربوية، ط١، ترجمة: حسين كوجك ووليم تاوضروس عبيد، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٠ – موافى، عثمان : منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى، ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٦م.

٢١- النبراوى، فتحية عبد الفتاح: علم التاريخ، دراسة فى مناهج البحث، ط٢، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.
٢٢- وافى، محمد عبد الكريم: منهج البحث فى التاريخ، التدوين التاريخى عند العرب، ط١، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ١٩٩٠م.
٢٣ – وسينوبوس، لانجلو : المدخل إلى الدراسات التاريخية، فى كتاب : النقد التاريخى، ترجمة: عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٤- يحيى، عادل: "التاريخ الشفوى، منهج وتقنيات البحث"، فى كتاب : من يصنع التاريخ، التاريخ الشفوى للانتفاضة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعى، القدس، ١٩٩٤م.
25- Henige, D.:Oral Historigraphy, Longman press, London, 1982.
26- Vancsina, J.: Oral Tradition as History, Madison the University of Sisconson press, 1985.
27- Oral History Evaluation Guidelines: Oral History Association, Sept. 2000.
28- Phplip Abrams: Historical Sociology, open book, 1982.
29- G.V. Wedgwood: The king's Peace 1637-1641, Collins, 1955.
30- Richard Cobb.: A Second Identity, Oxford University press,1969.
31- Marc Bloch: The Historian's Craft, Manchester University press, 1954.

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DES RECHERCHES ET DES ETUDES ARABES
معهد اتحاد الجامعات العربية